هيام عبد الهادى صالح

أنت وحدك السماء



رواية



إهـــــــداء ٢٠٠٦

الدكتورة / هيام عبد الهادي صالح

أسوان

أنت وحدك السماء

رواية



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق اهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

الموقع الإلكترونى *www.alhdara-alarabia.com*

د. هيام عبدالهادى صالح

أنت وحدك السماء

رواية



الكتاب : أنت وحدك السماء
رواية

الكاتب : د. هيام عبدالهادي صالح
(مصر)

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٥

رقم الإيداع ٢٠٠٥/١٣٤٨٥
الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-669-x

الغلاف :
لوحة الغلاف : للفنانة هايدي أوكسن
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : إيمان محمد
تصحيح : عثمان العجمي

إهــداء

إليه

(كل من أحببت [كانوا] نجوما.

تضئ للحظة و تنطفئ إلي الأبد.

وأنت وحدك السماء).(*)

وحدك تقبع بالذاكرة.

إليهم

قالوا "(لا تصغين لقلبك)"(**)

وقد أصغيت.

وها أنتم نجحتم في خداعي بكذباتكم الصغيرة والكبيرة.

وأنا... نجحت في إلقاءكم في سلة محذوفاتي... خارج الذاكرة.

هيام

أسوان في ١٦/ ٢ / ٢٠٠٥

---

*- للشاعر محمد الماغوط (بتصرف).

**- من شكاوى الفلاح الفصيح.

تصدير (*)

الطيورُ التي أقعدتْها مخالَطةُ الناس,
مرتْ طمأنينةُ العَيشِ فَوقَ مناسِرِها..
فانتخَتْ،
وبأعينِها.. فارتخَتْ،
وارتضتْ أن تُقأقَيء حولَ الطَّعامِ المتاحْ
ما الذي يتبقى لهَا.. غيرُ سَكينةِ الذبح،
غيرُ انتظارِ النهاية.

*- للشاعر الراحل / أمل دنقل.

تصدير للرواية (*)

يا وطن

(العطر عطرك والمكان هو المكان

لكنني

ما عدت أشعر في ربوعك بالأمان

شيء تكسر بيننا

لا أنت أنت.. ولا الزمان هو الزمان)*

منصور

---

*- للشاعر فاروق جويدة.

[١]

فجأة كان الكتكوت المنفوش علي ظهر الموج الذي قذفه في فم البحر وأخفاه دون أن يجد الوقت للصياح والقفز.

كان الرجل علي كرسيه منكمشا وهو أمامه يسأله :

- لماذا لم تبلغنا ؟

- !!!!!!.........................

- وما حدث الشهر الماضي ؟

-!!!!!!!!!!!.......................

- تكلم وواقعة البنت إياها ؟

- !!!!!!!!!!!!!!!!!...................

كنت أجلس علي كرسي مقابل للمكتب المجاور.. صافحني آخر وسيم وطلب لي كوبا من الكركديه المثلج.. لعنت زوج عمتي في سري.. هو من دفع بي لهذا المبني.

وددت لو يأخذ مصافحته وكوبه ويتركني أرحل.

((كانـــت جثة لامرأة طافية في النيل - كانت في ذاكرتي دائمـــا وإن كنت لم أتعرف عليها - وجهها منتفخ وبطنها منتفخة وخصلات شعرها متآكلة تعلق بنبات ورد النيل. طرحتها تتماوج مـــع حركة الموج يدفعها ويروح يصفعها ويعاود صفعها مرات ومـــرات. جلبابها الأسود المبلل يكشف عن ردائها الداخلي بلونيه

الأحمر والأبيض وطائر ضخم يقبع علي الصدر.. البلل كشف عن تفاصيل الجسد المنتفخ الذي انتهكت حرمته وبانت تفاصيله))

أفقت علي سؤاله "هه.. فين بقية العرايس يا منصور؟"

- اختفوا يا باشا.

صفعة عاجلتني قبل إتمام جملتي.اختفت الابتسامة من وجهه وبدأ يكشر عن أنيابه.

كانت الرائحة النتنة للجثة تملأ أنفي.. منذ صحوت فزعا في أول ليالي الحجز لم تفارقني الرائحة ولثلاث ليال لا تريد مفارقتي حتى والصفعات تتوالي.

استفسرت منه عن موعد رحيلي دلق الكوب المثلج في وجهي انتفضت.

- هو دخول الحمام زى خروجه يا روح أمك..علقوه لغاية ما يقول بقية العرايس فين.

((كانوا ثلاثة تماثيل لأميرات فرعونيات.. عرائس من ذهب.. رنين الذهب أطرب قلبي حين اصطدمت فأسي بهن مصادفة.. لم أصدق عيني.. نتشت إحداهن كنت أتفحصها بذهول.. حين عدت ببصري مددت يدي اختفتا الباقيتان))

((اقترب الكتكوت بريشه المنفوش من الموج.. كان الموج يضرب الرمل وقدميه وهو يتقافز وينفض جناحيه بشدة.. يصيح ويلتفت لكتكوت آخر عاري الرقبة يسير بمحاذاته لكن بعيدا عن الماء.. يصفق له الآخر بجناحيه حينا.. يصفر حينا آخر.

كان الموج تشتد قسوته والكتكوت يزداد تقافزه ورفرفة جناحيه وصياحه بينما الآخر يزداد تباعدا عنه وعن الموج.لازال يصفق بجناحيه بين الحين والحين.

فجأة كان الكتكوت المنفوش علي ظهر الموج الذي قذفه في فم البحر وأخفاه دون أن يجد الوقت للصياح والقفز.

الثانـــي وقـــف يـــرقب رفيقه والموج يبتلعه.. أخذ يصيح في خفوت ثم أخذ في العدو بعيدا عن الموج والرمل والشاطئ بأكمله)).

[٢]

الزمن ليس زمن الشعراء.. حين يتكلم المال ينصت الشعر.

علي حصيرة مهترئة باهتة تسكنها الورود.. بعض الورود داكنة والأخرى فاتحة اللون. أسدد إليها نظراتي.. تتفتح الوردات عــن طفلات يرقصن في فساتين واسعة قصيرة وشعورهن تتعقد بفــيونكات فـــي ذيــول أحصنة وأطفال يرقصون بوجوه مبتسمة وخصـــلات ناعمة تبدو من تحت الطواقي الجميلة. يتوقف رقص الـــورود الأطفال والطفلات فجأة حين يلمحون وردة ضخمة تنشق عن سلطان الحواديت بوجهه الجهم وكرشه الضخم وخلفه حاشيته يأتي يبتلع كل الحلوي.. كل الضحكات.. كل نغمات الموسيقي.

تنغلق بعض الورود وتتواري بعيدا.. بينما يقف بعضهم في صف واحد ووجههم للجدار.

فركت عيني..أخذت أبحث بين المحتجزين عن زوج عمتي "صـــادق" لعـــنة الله عليه باع العروس الذهب بملايين وأعطي لي ملاليم وينتظر بقيتهم. وشايته بي للكبير دفعت بي وبه لهذا المكان ويظنه صديقه.

قطع تأملاتي بمد يده.

– مش فاكرني يا منصور؟ ضحكت.

– إزيك يا شاعر. كان شاعر المدرسة. كان في قصائده يهجو ويبكي حبيبته التي تركته وزوجوها لمن يمتلك مالا وشقة وسيارة.

الآن وبعـــد ســـنوات، طويلة.............يقولون لديه مال وشقة وسيارة و.............. تزوج.

تراها زوجته أيضا تركت خلفها حبيبا يبكيها ؟!

- لم أعد أكتب الشعر يا صاحبي.. الزمن ليس زمن الشعراء.... حين يتكلم المال ينصت الشعر.

مـــد قدميه علي الحصير.ضحكت مازال يتحدث بالفصحى كما هي عادته لكن......

- تهمتك إيه ياشاعر؟

- اتهام بإثراء غير مشروع و...... و.......

يـــبدو أنه كان أنيقا مهندما عند دخوله.. عيناه تشكوان أرقا وحركات يديه تنم عن قلقه.

نظرت إلي وجهه الملون بألوان قوس قزح وبقع دماء جافة تبرقشه وملابسه التي رثت.

((كـــان مثلي تماما(وخزته عيون المحقق / حتى تفجر من جلده الدم والأجوبة)[1]).. بمشاعر ودية سألني:

- وإنت تهمتك إيه؟

قـــال إنه (لم يعرف الخوف / عندما / أخذوه / فقط / كان قلقـــا/ علـــي زهرة صغيرة / لم تشرب / منذ يومين)[2] ضحكت مازلت شاعرا.

[٣]

فاخلع عن وجهك الوسيم جدا – القبيح جدا- قناع البراءة.

- تعبناك يا منصور.. اعذرنا.

(((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)[٣]

قلـــت كل سنة وأنت طيب! لا بأس كلنا طيبون والظروف ليست طيبة.

مددت يدك بالمصافحة. عفوا.......................

هلا شققت عن قلبي ورأيت آثار جرحك – ولو لسنين لن تلتئم.

فاخلع عن وجهك الوسيم جدا – القبيح جدا- قناع البراءة.

وانزع عنه ابتسامته. وأضمم كفك إلي جناحك.

و دعني أرحل)).

- حتلاقيـــنا جنبك باستمرار.. قدامك.. وراك.. حتلاقيك لابسنا.. فاهمني يا منصور.

تركت يده ممتدة في الفضاء ومضيت.

عـــند بـــاب المصعد هرول الحرس ورائي.. جذبوني من يدي.. كدت أصعق.

- كلم الباشا. تنحنح وقال:

- جوز عمتك يا منصور البقية في حياتك.

(((يســـألني شجر الجميز / من يأخذ مني خشبي الطيب كي يصنعه مقصلة خشبية / أو يصنع منه النعش أو التابوت)))[٤]

[٤]

"لـــو امـــتدت يـــدك فجـــأة وشققت عني
ردائـــي.. وتركتنـــي أمامـــك عارية...
لن تمتد يدي نحوك إلا......... .

(((- لو خطفت قبلة ((هي حلم يتملكه من زمن)) هل ستمتد يدك نحوي بسوء يا أمل؟

- لو امتدت يدك فجـــأة وشققت عني ردائي.. وتركتني أمامك عارية.

لن تمتد يدي نحوك إلا.............. لأواري عُريي فيك.

* * * *

وقـــف ينظر إليَّ بعينيه الغاضبتين ووجهه الجاد.. اقتربت منه وثلاث قبلات تركتها تمرح فوق شفتيه.. لم يقاوم.

احتضـــنته بشـــدة.. لدهشتي وجدت ملامحه الوسيمة التي تأسرني مازالت جامدة.

((مـــا بالـــك لا تبتسم؟! لو كنت لحما ودما وليس كائنا من ورق لطرت طربا مما منحتك اليوم!))

* * * *

فـــاتن حمامـــة فـــي أحـــد أفلامها القديمة تبادل ممثلا شابا القبلات.. قبلات جميلة أثارت شجوني.

تمنيت أن أكون فنانة لأتلقى آلاف القبلات.. لكنني سأرفض تماما......... أن يصفعني أحدهم.)))

طرقات علي الباب ونداء مزقوا صمت خلوتي "يا أمل.. يا أمل.. الغدا".

بسرعة أغلقت مفكرتي ووضعت صورته داخلها .. خبأتهما مؤقتا تحت وسادتي لبعد الغذاء.

[٥]

كــان هــو واقفــا أيضــا – محتميا بالنجوم – خلف النافذة.. يرقبني لم أشأ أن يراني أركع أو أبكي أمامه

كان أبي واقفا (ينتظر أن يتثاءبَ بابُ السجنِ عن الولد الغائبْ).

حــين صافحني وقبلني خارج المبني ورأي وجهي الباكي الملــون بألــوان الطيف وملابسي الكالحة المتربة انسابت دموعه وانهــار علي الأرض ((لم يقبلني أبي في حياته سوي مرة وحيدة عند عودتي من الخليج مفلسا قبل ذهوله بأسابيع قلائل)).

يااااااه للمرة الأولي أري أبي يبكي ((وسادة أبي تدعي أنها – وحدها فقط – التي رأت دموعه)).

بدا لي عاقلا مدركا تماما لما يحدث.

((تمنــيت أن أجلــس بجوارك أبكي معك أوتمسح يدي عن وجهك تلك الدموع كنت واقفا وقلبي يبكي)) كان هو واقفا أيضا – محتميا بالنجوم – خلف النافذة.. يرقبني((لم أشأ أن يراني أركع أو أبكي أمامه)).

ليــتك تعذرني خشيت أيضا أن يقال (عيل و مَرة(*) بيبكي) وآلاف آلاف النكات تطلق عليَّ.

---

*- مرة: امرأة.

لا أعرف كيف أخبره بخبر وفاة زوج أخته – ابن عمه –.. ربمـــا يعـــاوده ذهـــوله.. لن يبدي تأثرا.. لن تدمع عيناه.. سيبدو شاردا لا يعلم من مات ومن ما يزال حيا يرزق.

[٦]

كانت تقف عارية ورجل في مواجهتها عاري الصدر.. ظهرها للنافذة في مواجهتي.. احتضنها.. أمسكت بسرواله و....

كانــت تقــف عارية ورجل في مواجهتها عاري الصدر.. ظهــرها للــنافذة فــي مواجهتــي.. احتضنها.. أمسكت بسرواله و..........((يا عارك يا منصور!!!!!!!!)).

تــركت ســلك الطــبق الهوائي يسقط من يدي وكدت أقفز خلفــه.. لــوهلة أدركت أن ساقي ستكسر لا محالة.. حانت منها التفاتة لأعلي.. عدوت علي الدرج.. طويت الدرجات قفزا.. تراه من يكون؟

أحــوالها تغيرت منذ سفر زوجها.. هل أقتل طاهرة أختي وأغسل عاري؟

قالت لي بعد سفرك يا منصور قال زوجي إن الجبل يغضب حين نحفر لنكشف ستره ونخرج المساخيط(*) الأثرية من جوفه.

لــذلك فإنه وجد مسخوطة خواجاية كركوبة في عمر أمه- ولا العوزة للجبل - ستتزوجه وتسافر به ويعود حين تسأمه ولديه ما يكفي لتجهيز أكبر بازار في البلد.

---

*- المساخيط: تماثيل أثرية.

شكت إنهم يحسدونها لما يرسله بينما هي معلقة من شعرها.. أقدامها لا تستقر علي الأرض والغيظ يملأ جوانحها ((تركها ومذاق العسل مازال علي شفتيها لم يجف بعد)).

قالت طاهرة إن الحبل الذي يربطها به تآكل منذ سفره.. لماذا لا يقضون بقطعه.. تجاهلت رغبتها عند عودتي.. فجأة ضحكت وغنت ((قبل زواجها لم تكن لتغني في وجودي)) لفت انتباهها للأخطاء في الأغنية التي تغنيها قالت إنها تسمعها من العامة هكذا. غيرت دفة الحديث.. عادت لتلمح إن المسلمين الأوائل كانوا يعطون للجند أجازة كل ستة شهور لئلا تُفتتن نساؤهم.. ادعيت عدم الفهم.

قالت إن معظم ما يرسله يضيع علي أدوية رضيعته – نهي- كثيرة المرض وهي لا تزال تتأرجح في الهواء أشارت تلميحا إنها طبقا للجاذبية تخشي السقوط.. سألتني هل أدرك أحاسيسها؟

أدرك أحاسيسك طبعا لكنك بنت ناس ومن عائلة وبنات الناس لا يسقطن.((هل أقتلها وأغسل عاري؟! أبدأ بقتله هو.. هي لن تهرب.. لا مفر لديها.. تراه من يكون ؟ حتما من أهل القرية.. مع اتساع قفزاتي يتوارد علي مخيلتي كل رجال القرية رجلا.. رجلا.. من هو؟!

(علي شاشة الحلم شاهدا سوءتيهما / انشغلا في جمع التوت إلي الليل / فانكشفا / لما [رأوني] انكسفا / خرجا من العشق / وماتا)[٥])).

[٧]

تمدد يدك ترقص يدي في كفك.. تقبلها خلسة أنصهر وأذوب.

(((- هل يمكنني رؤيتك متي أريد ؟ حيث أريد ؟

- بالطبع أميرتي.

أقــف عشرات الأسوار.. عشرات الحواجز تفصلنا.. أدفع أقدامي تلتصق بالأرض.

- لا أستطيع القفز حبيبي.

- نفــرد جناحينا يا أمل.. نطير عصفورين نحلق نتخطي الحرس والعيون. تشكلني عصفورة..تقول:

- أنتِ ملكة الطيور.... طيري حيثما شئت.. كيفما اتفق لكن عودي.

- انظــر إنهــم يرفعون هاماتهم ويحملقون في السماء بحثا عنا.. بنادقهم مصوبة..هل يروننا ؟

- أملي..إنهم لا ينظرون أبعد من أقدامهم.

- هات يدك أتلمسها.. أشم عبقك.. أتنفسك.

تمدد يدك ترقص يدي في كفك.. تقبلها خلسة أنصهر وأذوب.

تشكلني نجمة..أتالق حبا.. تمنحني تاجا و تقول:

- مملكتك سيدتي وأنا رعيتكِ.. لحكمي بالحب.. ولا شئ سوي الحب.

تسوي تحت جناحك وطنا ألوذ به.. تضم جناحك إلي قلبك.

- هل يأتي يوم و تفرين مني......... ؟

- وطني أنت.

- حبيبتي أنت جميلة.

- أنـــا أراني – فقط – في عيونك.. جميلة كما تراني.. طيبة كما تعودت.. رقيقة مادمت تريد.

أتلمـــس أناملك.. تزداد الحواجز وترتفع جدرانها و....... تفصل بين أناملنا.

- لا أستطيع الطيران.

- رفرفي بقلبكِ عصفورتي.. هل يمكنه الطيران ؟

- قلبي يحبك!.. حتما سيسبقك.

- هل يمكنه رؤيتي ؟

- يـــاه.. وردات كثيـــرة تتفتح بالقلب.. مياسمها عيون تتسع عن آخرها تبحث عنك.. كل عيوني تراك.)))

رنات تدق بإلحاح.."يا أمل.. ميعاد المدرسة" السادسة الآن.. حـــان وقـــت الاستيقاظ للذهاب إلي المدرسة..أغلق المنبه..أرتدي ملابســـي علي عجل.. ألتقط كشكول تحضيري.. لا بأس سأدون هذا في مفكرتي حين أعود.

[٨]

طلـــبت مـــنهم ألا يذوقوا طعامها- بعد الآن- لأنها لا تهش الذباب عن لحمها.

نباح كلاب النجع يمزق صمت الليل.. النباح ازداد شراسة فجأة بعدها عاد متقطعا. دفعت الباب في لهفة. لم يصلني صوتها.. سقط ضوء القمر المتسلل من الباب الموارب عليها جفلت طاهرة.. أمـــام الحمام وقفت تلملم فتحة قميصها الشفاف المتسعة بيد ويدها الأخري تحمل بعض ملابسها.

مـــن فـــرجة الباب عند فتحه لمحت شيشة زوجها في ركن منزو بينما قطعة فحم مازالت تلقي ببصيص أحمر باهت. انطلقت أفـــتش كـــل حجـــرات الدار لم أجد سوي الرضيعة. حتي حجرة حماتهـــا – زوجـــة عمـــي – فوجئت بدخولي عليها وهي نائمة.. بســـملت وأخـــذت تلملم نفسها وشعرها المهوش..كنت أتأملها في قميص نومها العاري وعمي راقد بجوار مقعده المتحرك.

– لســـاكِ نفســـك خضـــرا يا مرة عمي. لاحظت نظراتي سبتني ولعنت أبي.

– ينعل(*) أبوك واد مش مرباي(**). رميتها بنظرة احتقار ومضيت

---

*– ينعل: يلعن.

**– مرباى: من التربية : مهذب.

((ربما تكون زوجة عمك يا منصور.. الحجرة حجرة طاهرة.. هي طاهرة))

وضعت يدي علي رقبتها أضغط.. بصوت متحشرج قالت:

- عملت إيه يا خوي أستاهل عليه القتل؟!

- م السطوح شفتك وشفته بعيوني يا طاهرة ما حدش قاللي.

- هــو مــين؟ السطح بعيد يا خوي.. أكيد نظرك كدبك. ازدادت حشرجتها.

- بتستعميني يا بت والشيشة لساها والعة.

- دي مــرة عمــك بتشــيش ومداريــة.. ما تقتلنـــــ.. مش ما فــ........ يـــ..........ش ما فيــ...........حد.

صــرخة تنطلق من فأر تضغط علي عنقه قطة بمخالبها.. أفــيق.. ترتخي يدي قليلا وعقلي يدور في كل الاتجاهات بسرعة رهيبة.. رأسي حتما ستنفجر في صوت مدوي.

- ما تقتلنيش يا خوي.. إنت لا شفت ولا ريت(*) حد عنديا.

أمي تقول :

- كت(**) مسافر مالقاش حد يلمه ويقوله ما تسافرش.

- و إخواتك يام وإخوات أبويا ؟!

- الأخ أخ مرته والصاحب صاحب روحه يا ولدي.

علــي الأرض أدفــن وجهــي بين راحتيّ.. نشيج طاهرة المكتوم يشتتني.. صداع شنيع وثقل يغزو أطرافي.. الزمان تتابع أمام عيني في لحظات.. دموعي لا أملك لها إزاحة ولا توقف.

---

*- ريت واريت: رأيت.

**- كت وكات: كنت وكانت.

- بكرة حأبعتله تلغراف.. أبوك عايز يشوفك يا تلحقه يا متلحقهوش.

أمي تقول:

- من ساعة سفره يا ولدي أختك مابقتش طايقاه ولا طايقة سيرته.. سابها عروسة شهرين كات لسة الحنة في إيديها.

- يامي(*) أنا شفتها........................ (تقاطعني):

- بتقول كرهته كسر قلبي وطفي شمعتي وهي والعة.

- يا مي أنا شفتها........................ (تقاطعني):

- والناس حاسدينها علي اللي بيبعته واللي حيجيبه واللي واللي......وهي ليلاتي دمعتها علي خدها.

- يامي أنا شفتها........................ (تقاطعني):

- خيتك يا ولدي.. لو الدنيا قسيت عليها ماتقساش إنت علي خيتك(**).

تعللت لأخوتي بوجود بعض الطير(***) ساقطا في طبق الفتة باللحم الذي أرسلته لنا في الظهيرة.

دلقته في المرحاض.. طلبت منهم ألا يذوقوا طعامها- بعد الآن- لأنها لا تهش الذباب عن لحمها.

---

*- يامي: يا أمي.

**- خيتك: أختك.

***- الطير: الذباب.

[٩]

أتواري خلف إحدى الدكك الخشبية تصدر صوتا يدق قلبي بعنف..

دقات متلاحقة سريعة للهاتف.. يرفع رجل المسماع.

- آلو.
- آلو.. إنتِ مين؟
- أنا واحدة متعرفهاش.
- طب وعايزة إيه يا للي ماعرفكيش؟
- أتحاكي.. أتساير معاك.
- أنا بأتساير مع مرتي.
- هه.. هه.. مرتك مين السودة.. النشفانة.. اللي رجليها معرقبين(*)؟
- وإنت علي كده ملكة جمال ولا السفيرة عزيزة؟
- ....(أضحك).
- إيه رأيك أنا وإنتي......................؟
- إختشي.. أنا ماليش في المواضيع دي.
- مـــا لكيش فيها...... واللي ما لكيش فيها بتتصلي بالرجال في بيوتهم ليه؟

---

*- معرقبين: تقصد رفيعة.

– وإنت عاملي نضيف وشريف.. وحياة بت حسين أبو علي.

– ده إنتي متفطمة ودريانة ع المستخبي.. عارفاني وعارفة مرتي وعارفة الكل والكليلة.. إنتِ مين؟

– ....(أضحك وأضع مسماع الهاتف برفق.. أختار رقما آخر).

* * * *

– آلو................

– مين معايا ؟ آه هو إنتي يا........

– ....

– هه سكتي.. كلامي جه علي هواكي يا بت الـ... ناس المحترمين.. عندي شقة في البندر تيجي..............

– إنت قليل أدب وسافل.

– هه هه.....مالكيش في الطيب نصيب. (أغلق المسماع بعنف وأنا أسب)

((صوت بالخارج يصلني.. ربما استيقظ أحد إخوتي الصغار أو عاد كبيرنا متأخرا كالعادة. أتواري خلف إحدى الدكك الخشبية تصدر صوتا يدق قلبي بعنف.. تدخل فجأة.......

هأ..هأ.. هو إنتي منك لله بسة(*) شوم وقعتي قلبي.. غوري دوري علي فار وابعدي عني))

---

*– بسة: قطة.

[١٠]

أعتـــرف أنـــا الموقع أدناه/...... أنني مذنب..(أبوء بذنبي) و(من كان منا بلا ذنوب فليلقني بحصاه).. (ويغلق عليه داره فهو آمن).

يقف شقيق المرحوم "صادق" قائلا:

- كل حي يشوف مصالحه.. مافيش عزا.

همهمات بين الجلوس.. تتعانق أعين المعزين بقرية الفرس في اعتراضات خرساء يتجاهلها. تلك الوجوه التي صفعتها الشمس بأشعتها القوية زمنا فبدت شديدة السمرة.. الحزن يبدو علي الجميع إمـــا صدقا أو دورا مرسوما يؤديه صاحبه بذكاء كالعادة.. انشغل البعض في أحاديث ثنائية هامسة.

بعـــد قليل جاء.. حتما عيونه أخبرته بأننا لا نتقبل العزاء.. أضطررت آسفا لمصافحة يده الممتدة.. يطلب رؤية والد المرحوم الذي أقعدته الشيخوخة.. أرد:

- بـــس أفضــــي الطـــريق. أتركه نهبا للنظرات تتأمله في خوف صامت أحدهم يهمس لجاره يطرق بوجهه حين يلمح نظراته والحرس المدجج بالسلاح.

بـــيت صـــغير يحتضنه الجبل بقوة لا يدع له مهربا سوي الـــواجهة.. آثار لكفوف تفرش الحائط حناء.. حدوة حصان علي المـــدخل يعلـــوها الصدأ. عند دخولهم تصرخ أوزة وتهم بالهجوم

تهشها امرأتان تلتفان في السواد عمتي وأخت المرحوم.. تمد أخته يـدا نحـيلة بعروقها التي ترسم خارطة للحزن.. تغطي طرحتها جانب وجهها بينما نظراتها تمسح الأرضية الطينية.

- البركة فيكِ.

- .... يمد لعمتي كفه:

- البركة فيكم. تتفحصه بجرأة:

- البركة في ربنا.((يقتل القتيل ويمشي في جنازته))

لسـانها صـامت ونظراتها تنطق بالكثير.. يتأملها في ردائها الأسود الذي تمتد أقلامه طوليا لتزيدها نحافة.. وجهها المسـتدير يحمل الكثير من ملامح زوجها ربما لكونهما ابنيّ عم.. يقولون بعد مرور زمن طويل من زواج اثنين متفاهمين تتطابق ملامحهما. نظراتها الجريئة تقتحمه.. تنطق بلغات لا يستطيع قراءتها.

((علموه ألا يقرأ سوي الكذب في العيون.. علموه أيضا أن يبدل تلك النظرات لنظرات استسلام واعتراف.

أعترف أنا الموقع أدناه /....... أنني مذنب..(أبوء بذنبي) و(مـن كان منا بلا ذنوب فليلقني بحصاه)..(ويغلق عليه داره فهو آمـن). ذلك العجوز الذي يسير علي البعد ينحني كاهله يوما بعد يـوم.. جوال الذنوب فوق ظهره يثقله.. أظنه بعد حين سيلامس الأرض.. ربما يأتيه ذلك الذي يأتي علي غرة – لا يلين لشفاعة أو ضراعة – ليريحه من عبئه الثقيل.

لكن أين صحيفة الاتهام ؟ أين الشهود ؟ ألسنا كلنا مذنبين ؟! جريمتنا إننا لا نقول لا)).

نظــراتها تذهله.. لم يعتد هذه الجرأة من سيدات هذه البلدة الصغيرة في أقصي الجنوب. تمسح عمتي كفها في طرف جلبابها عقب مصافحته.

تــراه يفكــر((! لا بأس لو كانت ضيفتنا لأختلف الأمر.. فلأرحل سريعا عن هذا البيت النكد)).

- ما قبلش العزا في ولدي يا كبير. يقولها الرجل العجوز تاركا يد الكبير ممتدة.

يــردد الكبيــر بعــض كلمــات ربما تعزية ربما وداع.. ربما........ يترك مظروفا ويرحل.

فــي طريقه للسيارة يميل عليً يهمس لي ببضع كلمات.. يحمر وجهي وتشتعل النار في أحشائي.. أرد بخنوع :

- حاضر.

يبتســم الكبيــر ابتسامته الصفراء ويرحل.. يشعر بنظرات عمتي تخترق ظهره في حقد.. يتجرع السائق بقية الشاي الساخن في رشفة واحدة ويهرول لعجلة القيادة.

يهــرول شقيق المرحوم خلف السيارة يلقي المظروف تحت قدميً الكبير قائلا:

- إحنا ما بنقبلش العوض في لحمنا.

((ما تزال "إيزيس" تقف بجسدها النحيل وشعرها الذي يبدو ناعمــا تحــت الطرحة الشفافة التي تحيط بوجهها المرتسم بحزن تتلقــي العزاء في زوجها وابن عمها وحبيبها "أوزيريس".. تتأمل ست في خيلائه واقفا وسط أتباعه يبادلها كلمات العزاء.

آه يا عمتي.. أتنتظرين انتهاء مراسم العزاء(لتدوري تلملمين

أشــلاءه مــن النهر لتعيدي إليه أنفاسه بمساعدة "تفنيس" و"تحوت" فيسترد الحياة ويعيد النماء للأرض التي أجدبت)[٦].

أتظنين أنه يمكنه أن (يقاضي قاتله "ست" أمام محكمة "رع" ويدينه وتعودين به منتصرا وسط مريديه إلي معبد أبيدوس؟)[٧]

أتظنيــنه- ذلك الصغير "حورس"- الذي يحوم الذباب حول وجهه وتستقر الأقذار تحت أظافره بإمكانه القصاص لأبيه؟

كــان ميــتا بــاردا وعلي ملامحه ارتسمت آهة ألم عميقة وممتدة.. وجهه كان ملونا بكل الألوان وفمه مفتوح علي آخره)).

يأتــي بقــية أخوة المرحوم ويحيطون بالسيارة.. في ثوان يتجمع الحرس حول الكبير ورفاقه مشهرين السلاح.

[١١]

وللحب دائما نهاية سوداوية

ما عجزت عن قوله الفتاة ولم يدركه الفتي

(((لمــاذا لا أكــتب الآن عنك.. تحلق عيوني في سماوات الحجرات وتصافح كل الوجوه حتى تهل.. بعدها تستقر وتهجع.

غيرتــي التــي ألــوم نفســي عليها من زميلة من........ ومن......... وأخفيها لن أجعلك تغتر بحبي.

يقولون: لا حب يبقي- وللحب دائما نهاية سوداوية – النهاية أعلمها ستأتي.

تقــول "تلاقينا تلاقي أرواح حتى في البعد أحبك يا أمل".. أقــول "أتمنــي ألا أفارقك.. هل ستظل ذكري جميلة عالقة بقلبي تصافح الدم الساري في جسدي النابض بالحياة؟" تضحك.

"أنا مجنونة بحبك" تقول إن العقل يقتلنا.. العقل يقتل الحب.

وأنــا عشــرات المرات أدور في المنزل وعقلي يمنعني – بصــعوبة – من الاقتراب من الهاتف وأنتظر عشرات المرات أن تدقه أنت ولا يدق.

– حبيبي أنت مشغول؟

– لا يشغلني شئ عنك.

أشتاق إليك.. أشتاق لسفرنا معا.. لبرودة القطار.. أتتذكر تعليقك:

- كان نفسي أضمك في حضني أحميكِ من البرد.

-..................(عيونهم ورائي).

يكفينـــي دفء يديك.. لمس يديك.. أتعمد أحيانا مصافحتك دون مناسبة.. أشتاق لاسمي تردده هكذا دون وساطة "أمل".. دون (أبلة) تسبقه.

أقـــول فـــي كل مرة سأدعه يقول " أحبك " لم أسمعها منك رغم كتابتها مرارا في أوراق تخبئها خلسة عن العيون.

كل الوجوه تحمل ملامحك.. كل الشوارع تحمل خطواتك.. وجهك ينتظرني خلف كل النوافذ.

لمحـــتك ســـريعا فـــي سيارة قلت ((لا زلت ترينه في كل الوجـــوه؟ هـــو بعيد الآن. آه.. حالتي أصبحت مقلقة)) أنك قريب منـــي.. بداخلي.. لم أصدق انك قريب مني بحضورك.. (بهلاتك) حتى عدت إليَّ تناديني.

أسائل نفسي دائما ألست بنتا كباقي البنات يمكنها رؤية محبوبها والحديث معه حين تريد؟ حيثما تريد؟ مالي "تعلق بالمستحيل؟

مشـــاعري لا أستطيع التعبير عنها.. ربما خجلا.. ربما لا أملك أدوات التعبير فأفضل الصمت))).

أغلقـــت المفكـــرة التـــي سقطت من يدي ومعها القلم وأنا جالسة.. تابعت نومي.

[١٢]

فتحتها.. تصاعدت الدماء لوجهها. خرجت
حاملا إياها مضافا إليها رذاذ بصقة

ليس سواكِ من تنسيني أحزاني (((والآن جئتك كالغريق/ كل ما أبغيه من عينيك طوق للنجاة/ مازال في الأيام شئ من رحيق/ فاحمليه الآن بين يديكِ)))[٨] من سواكِ يا شمس يعيد لي الزمن الجميل.

شمس لملمتِ أشعتك وغربتِ عن سمائي. بدونك الليل طويل.

شمس ضننتِ بنورك رحلتِ وأظلمت حياتي.

هل مازلتِ تحبين منصور – حبيبك – يا شمس؟!

حين جلست إليها – أمها قامت لعمل الشاي – تبدو مخايل حبنا القديم تحاول أن تواريه. تراها الآن بعد سفر زوجها تفتقد لوجود رجل في حياتها.

- في زيارتي الأولي جئت لابنها الصغير بطائرة بالريموت تطير لتسلم علي أبيه في بلاد البترول.
- في زيارتي الثانية جئت له أيضا بعصفورين في قفص ليطيرا ويسلما علي أبيه في بلاد البترول.
- في زيارتي الثالثة جئت لها ببلوك نوت وقلم جميل لتكتب وتسلم علي زوجها في بلاد البترول.
- في زيارتي الرابعة لابد من شئ مختلف.. جئت لها بلفافة كبيرة مزركشة.. فتحتها.. تصاعدت الدماء لوجهها. خرجت حاملا إياها مضافا إليها رذاذ بصقة.

[١٣]

تستلقي أغانيك علي الرمل منهكة.. تبكي حلمها العجوز..الذي
لا يملك عصا ولا كفا يتكئ عليها ولا أقداما تحمله

(((في ساعة صدقه معي
قال إنه حين غلقت الأبواب وصرنا وحيدين
راودته فاكهتي وأراد تذوقها
لولا.. مانعته حصوني.
تمني حينها أن يمتلك عشرات الجياد لقفزها.

وأنا أيضا
أحيانا
اشتاق لولوج حدائقك و................
....
ياه
نسيت أن أبواب حدائقنا مغلقة – دوننا-.

لحظة ضعف
في لحظات ضعف نادرة

أشتاق أن أستلقي بين ذراعيك وأبكي

وأن تهدهدني

أشكو إليك (ضعف قوتي وقلة حيلتي) وهواني ويأسي

وأنه ليس هناك أمل يلوح في السماء حتى تبعثره الريح بددا

دون غيث يرويني أو يشبعني أو يطفئ حريقي.

قدمي لا تسكن شاطئه

أنت تسمعني أغانيك..

تتخذ مسكنها في قلبي..

يتقاذفها مد وجذر..

تتكسر فوق صخور الحلم.

تستلقي أغانيك علي الرمل منهكة

تبكي حلمها العجوز..

الذي لا يملك عصا ولا كفا يتكئ عليها ولا أقداما تحمله

فتبقي أغانيك – حيث هي – في احتضاراتها الأخيرة

– كما هي – بقايا روح لا تملكني ولا أملكها

تتخذ موضعها لشاطئ آخر

حيث لا موضع لقدمي))).

– يا أمل.. يا أمل.

نـــداء أمي أفزعني..أغلقت المفكرة بسرعة.. خبأتها في عجالة تحت مرتبة السرير قبل دخولها ريثما أضعها في مكانها السري.

[١٤]

مــن مــنا يحيا بلا ذنوب؟(من يقف أمام قضاة الموت دون ذنوب يحملها كان بمثابة إله) ونحن لسنا آلهة.

- عيلة المرحوم صادق.

- دخلهم.

تجلس أخت المرحوم قدماها لا تكاد تحملانها. بينما عمتي تقف ني تحدٍ تتحدث في نبرة غاضبة.. يزعق شقيق المرحوم فيها أن تترك الرجال يتحدثون وتصمت.. تقاطعه:

- الوحيعة وجعاني أنا وعيالي يا ابن عمي.

لا تلــبث أن تلين لهجتها.. تتحدث عن الظلم و(الحق الذي يثقل وزنه فيحمله القليل والباطل الذي يخف وزنه فيسارع الجميع إلي حمله)[٩].

((إيزيس يا سيدتي.. يا عمتي العزيزة.. من منا يحيا بلا ذنوب؟ (مــن يقــف أمام قضاة الموت دون ذنوب يحملها كان بمثابة إله)[١٠] ونحــن لســنا آلهــة.. تهتفين به أن يستمع إلي صوت المظلوم تقولين أن(همس المظلوم لا يعلوه صوت عند الإله)))).. أنتبه علي صياحه:

- القهوة يا حيوان – ينظر إلينا – تشربوا إيه؟

يسارع أحدهم بإحضار قهوته يرتشف منها رشفات صغيرة ويزفــر تخــرج أنفاسه معبقة بغضبه.. ترتسم خارطة علي وجه

القهوة تتبدل تفاصيلها بتعدد رشفاته. بقايا الوجه تستقر في أركان الفـنجان لتفسـح لـوجه عمتي وعينيها الجريئتين اللتين تقتحمان حصونه. يتجرع رشفة طويلة يبتلع معها كل غضبه. يقول:

- المرحوم مات بالسكتة القلبية - يرمقني بنظرات ذات مغزي - مش كده يا منصور؟

- تمام يا كبير.

- أهه ابنكم شاهد.. مش حد غريب. يرد شقيق المرحوم:

- يا باشا الظلم حرام. يتجادل معه قليلا ويحتد صوته.

ينتفض الكبير من مقعده.. يضرب المكتب بقبضة يده.. يصيح:

- أنـا ناديـتكم عشـان نهدي النفوس وتقتنعوا إن المرحوم مات بالسكتة.. ده كان عزيز علينا كلنا.

لـو شـطار اثبـتوا غير كده. يا......... يميل عليه أحد مساعديه بسرعة مشيرا برأسه تجاه الشرفة.

يـبدو أنـه أخبـره بوجود بقية العائلة وبعض أهل القرية بالخارج.يلين صوته قائلا:

- وصل جماعة المرحوم معززين مكرمين للبيت.

- أمرك يا أفندم. يصيح الحاج شقيق المرحوم:

- إحنا عارفين سكتنا وحنعرف ناخد تارنا.

صياح وهرج يصاحب خروجنا.

[١٥]

كل امرأة دون رجل هي خاطئة أو في طريقها للخطيئة.

حـــين يجـــئ صباح الجمعة.. السيدات يخرجن تباعا يلقين بالمـــاء والماء يضحك في طسوتهن وأنا ألقي بماء غسيل سراويل الصـــغيرة.. مـــاء حزين لا يضحك. تتورد وجوه النسوة في تلك الصـــباحات وأنـــا أواري وجهـــي عنهن. أتشاغل بإطعام الدجاج والـــبهائم أو أظـــل راقدة دون نوم حتى ينتهين من طقوسهن التي تشعل في جسدي النار.

وهن في جلساتهن في الأفراح والجنازات لا يحكين إلا عن أزواجهن.أسمعهن يتناولن سيرتي ويحكين عني. "كات بتحبه.. لما هـــج(*) مـــع الخـــواجاية مابقتش طايقة سيرته" يبصبصن ويتأملن ردائي.. يغمزن نساء القرية ويلمزن حين أرتدي جديدا أو تتسدل ضفائري الطويلة متراقصة علي ظهري ويشممن عطري.

اسمع إحداهن تحادث زوجها عني:

– حسك عينك تروح عند أم نهي وتسألها "عايزة حاجة".. جناحها مكسور قال! دي حداية.. ده أنا أقصقص ريشها وأنتفه وأكسر منقارها قبل ما تخطفك مني وتلوف بيك.

وأنـــا فـــي معظـــم المساءات أرتدي قمصان نومي..واحدا واحدا.. أتاملني وأعاود التأمل.. شمعة سمراء تشتعل ليلا وتنطفئ

---

*– هج: رحل.

بطلوع النهار..لا أجعل أحدا يري كريستال عينيّ الذي يمطر في الليالي المؤرقة.

يأتيني كلما أرقت يستلقي علي صدري.. يقبل يديّ وقدميّ.. يبكـــي "ســـامحيني". أشكو له الوحدة و نظرات الرجال.. لمزات النساء.. أحتضنه وأبكي........

أستيقظ محتضنة الريح.

يسألني منصور ماذا ينقصني..ينقصني الكثير......... يكفي إحساسي بالإهانة لرحيله.

وأنـــت يـــا جابـــر تقـــف علـــي الـــبعد بشموخك وعينيك الطموحتين.. ترمي ببضع كلمات في الهواء عبر الأسلاك.. تتبعثر في الهواء.

أنتظرك وأجهز لك قهوتك وتبرد.. أسخنها وتبرد تقول إن وجهها فقد ملامحه.. أنا أيضا في بعدك فقدت ملامحي.. ملامحي كـــنت أراهـــا في عينيك حلوة.. اخترتك وحدك دون سائر أولاد الأعمام والأخوال وأنت اخترت الرحيل.

حضـــرة القاضـــي أنـــا طاهرة المطعونة في أنوثتها بيد من إختارته دونا عن العالم.احكم هو يقتلني.. كل مساء جرحه يقتلني قتلا بطيـــئا.. تنفـــرج أســـنان القاضي عن ابتسامة صفراء ونظرة أجيد قراءتها جيدا في عيون الرجال.. يضع يده علي كتفي مدعيا الأبوة.

– يـــا بنتي القتل ليس من أدواته الانتظار – يلين قليلا حين يري دموعي – إلا إذا ....

– إلا إذا إيه يا قاضي؟

– إلا إذا تبينت بنفسي آثار جرحه. تنزلق يده لأسفل وتزحف علي

صـــدري ببطء.. يقترب تتسارع أنفاسه وحجابه حوله.. ألملم ملابسي وأتراجع مذعورة.

- جرحي في قلبي ينزف.((تركني بعد زواجي بشهور لبلدة ليست ســوي أفــواه وآذان تسير علي أقدام.. ينشرون سيرة النسوة الغائــب عنهن أزواجهن بسفر أو طلاق أو موت علي جدران الــنجع.. يضــرب فيها الهواء ليل نهار ويلعقون فيها بألسنتهم الحِداد(*))) يقول:

- أضــعتي وقتــنا لا يــوجد نــص قانوني إلا إذا......... يتقدم وأتراجع حتى التصق بالجدار يختفي فجأة ولا جدار يواريني. أصحو وأنفاسي تتلاحق.

عيون الغرباء صواريخ تخترقني.. يقولون:

- لها قوام تحسدها عليه أجمل الجميلات.

والأقارب لولا الملامة.

وأنــا......... إنسانة لي جسد يصرخ بحاجته.. بكتمانه.. بحــرمانه. لــم أعد أغضب من التي تخطئ في أفلام السينما كما تــربيت صــغيرة.. أدركت أخيرا أنها تخطأ في لحظة ضعف.. لحظة حاجتها للتوحد بكائن آخر.

يا رجال العائلة لتضعوا عمائمكم علي رءوسكم وسيقانا فوق سيقان وأيديكم في الماء البارد – وأنت مثلهم يا منصور– وأطلقوا أحكامكم دون شفقة علي كل من تخطئ وتوهموا أن كل امرأة دون رجل هي خاطئة أو في طريقها للخطيئة.

---

*– الحداد: بكسر الحاء جمع حادة.

[١٦]

إلي متي يشعلني ضوؤك ولا تطفئين نيراني؟!

(((كانت نجمة في السماء وحيدة وحزينة ترتعد من الخوف والوحدة.. تشكو نجما آخر أطفأ أنوارها ومضي.

قال السحاب "يا نجمتي في السماء.. أنت بعيدة وعزيزة ولا مرئية وأنا علي البعد أعشقك. نعم لديَّ نهر أرضي أغمره بمائي يكفيني ويفيض. لكنني................... أشتاق لضوئك يغمر روحي.. أشتاق لاطلالة وجهك التي أعشقها – فقط – تعالي يا نجمتي ولا تخافي.. اقتربي وادخلي جنتي ".

كلمات السحاب حسمت تردد النجمة ((لديه نهر ولا يحتاجني.. يحتاج ضوئي فقط ليأتنس به)).

عشق السحاب أعاد للنجمة نورها وضحكتها. وهو وضعها علي رأسه تارة وتارة أخري فوق كل النجوم.

وهي أفسحت له في قلبها ركنا.. تسلل رويدا رويدا – دون أن تدري – فملأ شغاف القلب. احتل أمسها ويومها وغدها.

يوما ما قال السحاب " حتما يغمرني ضوؤك ويسعدني.. لكن أشتاق للمسك.. إلي متي يشعلني ضوؤك ولا تطفئين نيراني؟! إلي متي تظلين ضوءًا فقط.. ضوءًا ليس إلا؟!")))).

تنادي أختي الصغري "يا أمل" تدفع الباب دون أن تنتظر الرد.. أغلق مفكرتي بسرعة وأضعها تحت وسادتي. تسألني ماذا خبأت؟ أشغلها في مواضيع أعلم أنها تعشق سماعها.

[١٧]

سرقنا وهو حي ويسرق منا أحلامنا بعد وفاته.

ابــن آوي يفرد أماميتيه ينبت له جناحان ضخمان.. يتناثر ريشهما مشيرا به ناحيتي.. رأسه أيضا تتحرك باتجاهي. يرمقني بعينــيه الحمــراوين.. أفــرك عينيَّ تتساقط دموعي بتأثير العرق والخوف.. تتحرك ساقاي دون إرادتي.

نجفـــة كريستال ضخمة علي شكل نصف كرة بحجم الكرة الأرضـــية تتدلـــي من السماء.. كريستالها يبرق بألوان الطيف... تنطفـــئ وتضئ.. تضئ و تنطفئ. فجأة تشتعل ببريق وهاج ونار مـــن الأرض حتـــى الســـماء. وهجها يضئ وجهي بلون ناري.. ينطفـــئ الوهج في ثوان نظرت فإذا بابن آوي يختفي كما ظهر.. دون صوت.. دون أثر أو رائحة.. أصحو مفزوعا كل مرة.

غابت عمتي عن عيني وبقية النسوة.. حتما يقصدني وحدي.

قالـــت "عايـــزين نزور المرحوم صادقَ يا ريتك تيجي معانا يا منصور.. إنت راجلنا دلك(*)" لم أرد الذهاب.. جملتها أثارت نخوتي.

تبكـــي عمتي رجلها الذي نعيش في خيره ويسع الكبير قبل الصـــغير.. لا يتـــرك مأزوما حتى يفك أزمته ((الله يرحمه كان طماعـــا خائـــنا للأمانة. قال العروس من نحاس قلدوها بإتقان يا

---

*– دلك: بفتح الدال (دلوقت) الآن.

منصـــور..ثلاثمائة جنيه أعطانيها الكبير.. قال "بوسوا إيديكم وش وضهر.. لولا الكبير........" الكبير صديقك رماك في الحجز بلا رحمة.. الكبار يصادقون المال فقط.)).

تبكـــي عمتي رجلها الطاهر الذي كان يصادق الأكابر ((الله لا يرحمه سرقنا لعنة الله عليه حتى نومي وأحلامي يسرقها مني.. سرقنا وهو حي ويسرق منا أحلامنا ونومنا الهادئ بعد وفاته)).

أمامـــي يقف ابن آوي فاردا جناحيه يتناثر ريشه مشيرا به ناحـية مدخل الجبانة..يرمقني بعينيه الحادتين.. أنتفض رعبا ولا أقوي علي السير.

يجري يدخل أحد القبور عند مدخل الجبانة.. ينبش الأرض بمخالبه.. يذر التراب بأماميتيه.

يتمرغ في التراب قليلا ليعاود نبش القبر ((أين عمتي وبقية النسوة.. هل يرين ما أري؟((صعقت.. ظهر أمامي هيكل عظمي كامـل به بقايا لحم وشعر لم تتحلل بعد يحمل ملامح المرحوم لا أدري..ربما شبه لي.أحد أسنانه ذهبية تلمع في الشمس.. هالني أن أســنان الرجل كشفت عن ابتسامة واسعة.. استدرت.. تركتهم و أطلقــت للريح ساقيّ ووقع أقدام تطاردني وصوت مبحوح يناديني "منصوووووووووووووووور".

[١٨]

وجوزك ده أملة مرة تغير عليه!

شـــاب يـــرفع سماعة الهاتف عقب صوت تليفون متسارع الـــدقات (ترنك) يفاجأ بصوتي الأنثوي الهادئ أتحدث إليه بلهجتي القريبة من لهجة أبناء بلدته.

- آلو.
- آلو.. إنتِ عايزة مين؟
- مش إنت ياسر ابن ناس......... اللي مدوخ البنات؟
- طب عرفتيني مش حقي أنا كمان أعرفك؟
- مـــالكش دعـــوة أنا مين وبت مين.. عايز تتكلم معاي ولا أحط السماعة.
- لا استني وحياة أبوكي.. إتكلمي.
- حد جنبك؟
- ماحدش.. مافيش غير ابن أخوي الصغير واتخمد من بدري.
- كويس.
- إيه رأيك عايز أنام.............................. هه؟
- (أرتـــبك) إنـــت قلـــيل أدب وماتـــربتش.. الكلام ده تعمله مع بت.......ولا مع صاحبتك السودة التخينة العانس.

- له له له..... ده إنتي عارفة كل البلاوي المكفلتة(*).. إنتي مين وبتتكلمي من وين(**)؟!

- بـــأتكلم مـــن وين.. بتكلم مَن خِشمي(***)......(أضحك........ يضحك) طب سلام.

- اِستني قبل ما تحطي السماعة حتتصلي بكرة؟ ولا أنا اللي اتصل بدل ما كلفك.. هي نمرتك كام؟!

- ....

- وحياة أبوكي لِتقوليها.

- طـــب معـــاك ورقة وقلم إتملي - أملي عليه رقما- يكتبه وهو يردد الأرقام ورائي [يتوقف فجأة] يصيح:

- يا بنت الإيه وعرفتي نمرة صاحبتي الجديدة كمان.

-(أضـــحك) فاكرني هبلة.. أنا اللي حاتصل بيك بكرة بعد الساعة اتناشر بالليل أبقي ارفع السماعة علي طول.

- أنـــا مـــا قولتلكيش... بكرة حأبات في الزرع... الدراسة جاية تدرس القمح.

- يبقي بعد بكرة. سلام بقي يا ياسر(أضحك).

- حأستني بعد بكرة علي نار يا بت الـــ........ الناس الطيبين.

- ها ها ها ها ها ها.

* * * *

- آلو...

---

*- المكفلتة: المخبأة.

**- وين: أين.

***- خشمي: فمي.

- آلو.. عايزة مين.
- عايزة اسماعين.
- ما قاعدش.. نقوله مين سألت عليه؟
- مادام ما قاعدش خلاص أبقي أتصل بيه تاني.
- مش لما أعرف إنتي مين وعايزة جوزي في إيه؟ إنت م البلد ولا.. التلفون ترنك لكن صوتك مش غريب علي.. إنتي بت مين ومن وين؟
- إيه كل دي أسئلة.. وجوزك ده أملة مرة تغير عليه؟!
- إنت بت سافلة وقليلة الرباية.

أغلق السماع بعنف وأنا أسب وألعن ((يكفيني اليوم.. حرقت دمي الله يحرق دمها)) أعرف أنني كالمعتاد لن أنام حتى الفجر.. أتقلب عند الأذان.... أنام حين تناديني أمي للصلاة.

[١٩]

تصهل خيوطي الليلية في حضنه

((هل حقا سيعود؟ أحدق في عينيه.. أتأمل ليلهما.. صفاءهما.

جابر قهوته تركها تبرد.. قال سيأتي.

– وحشتيني يا طاهرة.

الساعة التي أحضرتها تدق اثنتي عشرة دقة وقلبي يدق معها.. منتصف الليل وأنت لمّا تأت بعد.

تقف أمامي وغمازتك في خدك الأيسر تضحك.. أدقق في ملامحك.. أنت كما تركتني.. سمارك.. شعيرات شاربك النافرة.. شعرك الفاحم.. شحمتا أذنيك الملتصقتين.. شفتاك حين تخرج منهما الكلمات الحلوة أو الغاضبة.. الكلمات الملقاة بلامبالاة.. صمتك. لمسة يدك.. قبلاتك.. حضنك الدافئ.. حركات يديك..إيماءاتك.

إحساس غريب شعرت به.. إحساس بالفقد القريب.. هاجس انقبض له قلبي والزغاريد تملأ الدار ويدك في يدي في طريقنا لموكب الزفاف.

تقبل يديّ وتعتذر.. تعوضني الأيام العجاف (ونسيت حقدي كله في لحظة / من قال إني قد حقدت عليه)[١١] تستلقي رأسي علي صدرك بأمان..تصهل خيوطي الليلية في حضنك.. سأخضبها بالحناء وأعيد رسم ملامحي.

تعال وقل أحبك.. وحدك القادر علي إعادة تشكيل ملامحي.. ملامح امرأة متوحدة برجل يشكو لها غربته ويقص عليها حكاياته.

هل لاحظت..نفس تسريحة زفافي.. نفس ردائي ليلة عرسي.. قطعا مازلت تتذكر؟

أري معك العالم من جديد.. تحكي لي وأسألك رأيت من؟ كلمت من؟ أما عن امرأتك الخوجاية لن أجعلك تحكي عنها أو تذكر اسمها أو أية تفاصيل عنها.. لن أسمح لك.

ستسألني عن عاداتي في غيابك..كم خرجت ومتي خرجت ولماذا؟ وأنا أحكي لك.. أحكي لك ما حدث خلال أربع وعشرين ساعة في اليوم.

من قال إني قد كرهتك.. كل غفراني أمنحك إياه.. (كل ثماري.. ألقي.. عبقي.. ورحيق أزهاري).

ستكون أنت كما أنت طبعا.. كما تركتني.. ببريق وجهك ولمعته.. بملامحك التي أحفظها بقلبي جيدا.. بنظراتك المتطلعة للسماء دوما.. قطعا لم تتغير)).

[٢٠]

خمــس أنامــل تعــاود الظهور تمتد منها عشرات الأذرع لتلفنــي بإحكام.. تحكم قبضتها علي عنقي وجسدي.. أسمع فرقعة عظامي المنسحقة والزبد الأبيض علي جانبي فمي.

حــين أضــع رأسي علي الوسادة تندس عمتي عند طرف الآخــر مــن الوسادة.. أقلب الوسادة تتجول علي الفراش. يتململ أخــي الصــغير النائم بجواري.. أعطيها ظهري ترتفع بوجهها لتعكســه المرآة أمامي.. أدفن في الوسادة وجهي أصارع الأرق.. أحــاول قهر الأرق يقهرني.. يجبرني علي مصاحبته كل مساء لا أملــك سوي الإذعان. لا ينسي أن يغلق جفوني حين يقرر الرحيل لأصحابه الكثيرين المتعبين.

أراه وهــو يصــارع الموت والدماء تتدفق بغزارة من فمه وفتحتــيً أنفه.. يده ترتفع بوهن ويناديني " منصور".. تقبض كفه علــي الهــواء بلهفــة.. تنبســط فتبدو خطوط العمر بها قصيرة ومنحنية.. تغوص قابضة علي الهواء.

خمــس أنامــل تعــاود الظهور تمتد منها عشرات الأذرع لتلفنــي بإحكام.. تحكم قبضتها علي عنقي وجسدي.. أسمع فرقعة عظامي المنسحقة والزبد الأبيض علي جانبي فمي.

تمتد إحدى الأذرع تنفض كسرات عظام قفصي الصدري.. تتسلل لتنتزع قلبي.. تضعه فوق كفة الميزان.

(يـــا قلبي لا تشهد ضدي.. لا تعارضني أمام [عمتي].. لا يعلو وزنك سوي لصالحي أمام سيد الميزان أوزيريس.. لا تسمح أن تفوح من اسمي رائحة كريهة وأنت أيها العادل "أوزيريس" لا تنطق بالحكم قبل أن تتأكد من سلامة الميزان)[١٢].

داهمتنـــي الأفكار السوداء ((عمتي... هو هرم وأنا ما زلت شابا... كذبت... الظلم... سأموت... لا أحد يموت من الجوع... العرائس... نعم كذبت... وشي بي... أنا كبير إخوتي... لا يملك التماثيل... تعبت... أبي في عالم يملكه وحده... ضربوني... هو خائن سرقني... أيتام لكن لديهم معاش وأموال وأرض)).

أنـــتفض أتحســـس عنقي.. لا آثار لأذرعها القوية.. أغسل وجهـــي وحـــين أهم بحلاقة ذقني – لم أقربه منذ الحادث- يرتسم وجهها أمامي مرتدية جلبابي.. تضحك ضحكتي الباهتة المعتادة.

حـــين أتحسس وجهي.. أجده حليقا ناعما دون شارب يعلو فمي.

[٢١]

حتما هو يلعن أفلاطون وفلسفته التي لا
تشبع ولا تروي ظمأ العروق الساخنة

(((يختار البعد طواعية.. تراني أقدر حقا؟ ما عدت أطيق صبرا.. يظن الهاتف رسولا للوصال.

ذبت معه في قلب واحد منذ زمن.. الآن مرت أيام كثيرة لم أره ولم يرني.

تراه يقدر يوما علي الفراق.. لم أرتكب جرما جزاؤه البعاد.

وهو يمعن في الهروب.. يدبر (لإدمانه انسحابا بطيئا من دمي)..يباعد مرات اللقاء.

يسافر.. يرحل بصوته عبر الأماكن.((لم تقل إني راحل)).

ابتسامته تشكو نظراتي الحزينة عند وداعه.

أضع الهاتف وأمنع عبرات تود الرحيل وراءه.

ولأنه أصبح جزءا مني وأصبحت قطعة منه أشعر بأحاسيسه.. متي يحزن؟ متي يغضب؟ متي يغار؟ متي يكذب؟ – هو لا يستطيع قراءتي مثلما أقرأه – حتى عندما أراد البعد.. من أول وهلة أحسست.. بصعوبة منعت عبراتي عند وداعه.. كنت منقبضة.. أحس قلبي أنها النهاية.

فــي بعــاده تتناوبنـــي الهواجس وفي بعادي يتمني نسياني. بمجرد رؤيتي أمامه يتراجع.

يفكر ((لا أستطيع الاستغناء عنها أبدا)).

أشعر بانقباض في قلبي.. لو هاتفني قائلا " لنفترق يا أمل" لساعدته.. لن أرجوه.. لن أبكي أمامه.. لن أجعله يري دموعي أو يري وجهي فيتراجع.. سأبتعد لأقصي ما يمكن.

لكــنه وحــده يبتعد ووحده أيضا يعود.. ((لم أمنحه سوي كلمــات(كلمــات ليســت كالكلمــات) لم تصرفه عن التفكير في الرحيل.. حتما هو يلعن أفلاطون وفلسفته التي لا تشبع ولا تروي ظمأ العروق الساخنة))

أشــعر بمــرارة وإحساس مفقود بالأمان.. أقسم " محاولته القادمة سأجعلها الأخيـــ.........."

يأخذنـــي الحنــين ثانية.. أنا بعيدا عنه.. بقايا امرأة... ليته يدرك كم أحبه))).

الإرهاق يغلق جفوني عنوة.. يوقظني صوت المفكرة وهي تسقط علي الأرض في صوت مسموع.

[٢٢]

جلـــس يأكل بتأفف ناظرا إلي الذباب الذي يحوم حول الطعام الساخن والساقط علي وجوه لا تهشه

يومان بعدها عاد جابر وخيرات الدنيا معه. قلت:

– أقعد في بلدك ولم لحمك يا جابر.

– مرتي غلطت.. ما كتلتهاش ليه يا منصور؟!– قام واقفا – أكتلها (*) أنا....قاطعته:

– مرتك بت ناس يا جابر ما تعيبش.. غيرش كلام الناس.

ألسنة مجلس العائلة ونظراتهم أخرسته.. قالوا:

– كفايـــاك سرمحة في بلاد الخواجات.. أبوك عيان ومرتك طعم العسل في حنكها مرر.

– مرتي لو خَطت(**) أدفنها حية.

– لا. طاهرة ما خطتش يا جابر.

– أمال ليه بعتولي أسيب حالي ومحتالي عشان دلع البنتة(***). قلت:

– لو عايز ترجع يا جابر ارمي اليمين علي أختي قبله.

---

*– أكتلها: أقتلها.

**– خطت: أخطأت.

***– البنتة: بكسر الباء البنات.

– والبازار؟ همهم الرجال وتشاوروا بالأعين. قال كبير المجلس:

– نلم من بعض ونكمل ليك يا جابر.

– ومرتي الخواجاية؟

– إبعت لها ورقتها.

جلس يأكل بتأفف ناظرا إلي الذباب الذي يحوم حول الطعام الساخن والساقط علي وجوه لا تهشه.. والأيدي المعروقة التي امتدت لآخرها بخمس أصابع تغمس الطعام من أول الطبق لأخره وتدفع باللقم الكبيرة في أفواه مفتوحة عن آخرها تلوك الطعام بصوت مسموع. قام بسرعة.

– ما تأكل يا جابر!

– معدتي ما بتتحملش العدس. خالي قال:

– الله يرحم جدك أبو أبوك أكل البرص اللي سقط في الملوحة.. سنين والبلد بتتحاكي بيه......... قاطعه عمي بغضب:

– وبعدها لك ما تتلم. إنت عايزها عركة(*) ياك(**)؟! خرس خالي وابتلع كلماته.

((طوال الجلسة وجابر يبدو ساهما شاردا.. الفرحة لا تطرق وجهه.. يبعثر نظراته الشاردة علي الجبل الباصص علينا من النوافذ.. أعلم أنك تكره الجبل.. تقول إنه لو ينطق ويخرج أحشاءه لكفانا غربة ورحيل نعيش ملوكا نلبس حريرا وننام علي حرير.. الجبل يحفظ سره ولا ينطق بمكنونه وكنوزه المخفية لا يعنيه أمرنا وحالنا يا جابر.. يتأمل أبيه – علي كرسيه المتحرك –

---

*– عركة: معركة.

**– ياك: للإستفهام بمعنى هل.

الذي أقعدته أحجار الجبل حين سقطت فوقه والمقبرة الأثرية قاب قوسين أو أدنى منه.

أشــعر أنـــه ينتوي أمرا.. ما هو لا أعلم؟ ربما يريد حفر الجبل.. هل تعلم أنت يا جبل؟ هل أخبرك بنيته؟ حتى لو علمت لن تبوح)).

[٢٣]

((الــوقح لم يجد سوي أنثي الأسد ليسبني بها. أيضا يضع المسماع بصوت يخرق أذني.. جاتك قنبلة)).

- آلو
- آلــو.. إنت تاني يا خرابة البيوت العمرانة.. ربنا يهدك زى ما قلقتينا.
- للدرجة محروقة مني (أضحك وأضـع المسماع بسرعة).

* * * *

- آلو
- آلو يا حبيبتي.. إتاخرتي ليه.. أنا علي نار.
- حبيبتك ومرتك؟
- مرتي وحشة.. ما تجيش في نص جمالك.
- هو إنت أريتني ولا شفتني يا نتاش.. ما يمكن أطلع وحشة في سحنة مراتك.
- وحشة! فيه واحدة وحشة تعرف تقول الكلام اللي بينقط عسل.. أنا حبيتك حتى لو كتي قردة.

-(أضــحك) الملافــظ ســعد يا.....- أشعر بحركة – سلام بقي الظاهر حد صحي.

- حتتصلي بكرة؟ ولا أقولك مليني نمرتك وأتصل أنا بيكي.
- كـــان غيرك أشطر يا روح أمك (يضحك) حأتصل بعده عشان أوحشك شوية.
- استني أنا ما أقدرش أصـــ....... (أقاطعه بوضع المسماع).

* * * *

- آلو
- آلو.. إزيك يا......
- أهلا سيادتك مين؟
- يا خاين.. نسيت صوتي وأنا.........(يقاطعني)
- إنت بت لـــ... ومش لاقية حد يلمك ((الوقح لم يجد سوي أنثي الأســـد ليسبني بها. أيضا يضع المسماع بصوت يخرق أذني.. جاتك قنبلة)).

* * * *

فـــي كـــل مجلـــس فـــي قرية الكسارة يتطرقون لصاحبة المكالمات المجهولة التي لم تترك رجلا دون أن تشاغله ولا امرأة دون أن تشاكســـها.. تعـــرف كـــل الـــرجال والنساء.. أسرارهم المخفـــية.. فضـــائحهم وفضائلهم.. لهجة الفتاة تقترب من لهجتهم بيـــنما دقات الهاتف تأتي متلاحقة- أي من خارج القرية- أقترح أحـــدهم أن يكتـــبوا طلبا جماعيا لهيئة الاتصالات لإدخال خاصية إظهـــار الرقم في هواتف القرية لكن...(موت يا حمار)......(يوم الحكومة بسنة).

تعددت ضحاياها.. تزوج عبد الصمد علي امرأته بعد عشرة عمر وتركها معلقة لا يلمس لها عتبا.. قال إن صاحبة المكالمات

فتشت وجعه بكلماتها الناعمة الرقيقة – ربما الزوجة الجديدة تملك نعومة كلماتها ورقة مشاعرها – بينما تم طلاق أخري.

حاصرت الاتهامات إحدي بنات القرية التي سافرت لنفاس شـقيقتها فـي بلدة بعيدة.. ظلت الألسن تتناول سيرتها بالردئ.. أنقذها استمرار المكالمات عقب عودتها للبلدة.

[٢٤]

فاض نهري واختلط بمائها.. قالت الآن ارتويت

كانت تنظر للنيل نظرات طويلة غامضة.. بداية الغروب أعطت صفحة النيل سحرا حزينا.

فجأة خلعت طرحتها بعدها عباءتها.. ألقت نفسها في النيل. كانت تعوم كسمكة تعشق الماء.. تعرف مسارها ومستقرها.. مبتداه ومنتهاها. وقفت في ذهول.

قالت إن النيل غواها.. ناداها لتلتقيه وترتمي في أحضانه كما عودته علي ضفاف قريتهم الصغيرة. سألتني:

- هل تغير من النيل يا منصور؟

-..........((هل بدت علامات الغيرة علي وجهي؟! من أين أتاها هذا الإحساس؟)).

- للنيل سحر.. بمجرد نظرتي في عينيه يدعوني.. لا أستطيع المقاومة.. اخلع أرديتي وألبي مسحورة.

كانت تغوص تحت الماء وتعاود الظهور.. نادتني:

- تعال يا منصور.((كانت صورتي ترتسم علي النيل وفي عينيها.. لم أرني من قبل وسيما هكذا))

كانت تغيب تحت الماء حتى أظنها لن تعاود الظهور.. تشق الماء فجأة.. تناديني:

- تعال يا منصور - تابعت - هل تقاوم غواية النهر يا منصور؟

((قالـتها بلغـة أدرك تماما تمييز مفرداتها حتى المتوارية منها)). فاض نهري واختلط بمائها.. قالت الآن ارتويت.

بحـثت عنها في اليوم التالي لم أعثر عليها. هل كانت جنية النـيل؟! أيـن لقيـتها للمـرة الأولـي.. أحـاول تذكـر كـل التفاصـيل..الصغيرة والكبيرة.. هل انشق النيل عنها؟! بحثت عنها بطول المدينة لم أجدها. في قريتها التي ادعت أنها جاءت منها قالوا لا نعرف فتاة بوصفها واسمها ورسمها.. هل ابتلعتها الأمواج؟!

أحـد الشـباب بدت عليه علامات الاضطراب عند سؤالي عـنها.. بعـدما ألحـت عليه وأحس بلهفتي قال إنه كانت فتاة بوصـفها واسمها.. من سنوات بعيدة بعيدة كانت تقف علي النيل كثيـرا وتعـوم في الماء كثيرا وعند العصاري بعيدا عن العيون تتقافز في الماء كسمكة تعشق النيل ويعشقها.

ما لاحظته البنات أنها قبل اختفائها ونزولها النيل للمرة الأخيرة كانـت تحـدق فـي الماء طويلا وتنظر للسماء طويلا ولا تكلم أحدا مطلقا. بحثنا عنها كثيرا فوق الماء تحت الماء لم نجد لها أثرا. ما أثار الريبة والشكوك أن والديها لم يذرفا دمعة واحدة عليها.

عدت للمدينة حيث قابلتها للمرة الأولي بحثت عنها.. لم أجدها.

((لمـاذا كلهـن يـرحلن؟! سأنساها سريعا رغم كل البلبلة والشـجون والغموض الذي أثارته في نفسي (يأتي الهواء محملا بذرات صغيرة من مادة النسيان.. تلتصق بالثياب فتذوب الثياب.. تلتصـق بالمـدى فيصير المدي أصغر من بيتي.. تلتصق بالقلب فيفني الشوق)[١٣] حتما سأنساها)).

[٢٥]

تعـــتقد أن للحـــب زوايـــا عديدة.. جميلة.. رائعة.. تركت أجمل الزوايا وتقمصت دور المنتقم والتقطت بكاميرتك الزاوية الحادة التي تذبح وتريق الدموع.

(((قـــبل خصـــامنا الأخير كنت رائعا.. كنت أحسد نفسي عليك.. لم أشعر بحبك أو قربك مني هكذا.. ليتها تعود تلك الأيام.

ســـرت خلفـــك وأنت جالس كنت أتمني أن أطوق عنقك أو أضع يدي علي كتفك ببساطة.. لكن.........................

كنت علي يقين إنني سيمكنني ترضيتك لتعود رائعا كما كنت.

ليتك تغيب عني – بوجهك الضاحك وعينيك اللتين تحبانني – كلمـــا انفـــردت بنفسي لأتفرغ لأشياء أخري. ((لا توجد أشياء أخري أحلي ولا أهم ولا أحب لي منك)).

كـــنت سأقول لك إنني اشتقت لك هذا الأسبوع أكثر من أي وقت مضي.. لا أعلم لماذا لكنه ما حدث.

أتعجب كيف أن خلافا بيننا يمتد لعدة أيام؟!

أتعجـــب كيف يطيعك قلبك أن تهجوني بكلمة أو عبارة ما وأنا التي عقلي يدور دائما لانتقاء عبارات مواتية لمشاعري رغم كـــونك لا تسمعها ولساني لا يبوح بها إما سهوا.. إما خجلا.. أو لوجود آذان أخري.

أدعـــي لنفســي أن الأيام الأخيرة كانت صدمات صغيرة لم أتوقعها منك.

أعتقد أن للحب زوايا عديدة.. جميلة.. رائعة.. تركت أجمل الـزوايا وتقمصت دور المنتقم والتقطت بكاميرتك الزاوية الحادة التي تذبح وتريق الدموع.

أظنك لا تعرف كيف تتفادى جرح قلبي بين الحين والآخر.

أتساءل لماذا حين يعشق أحدنا بدلا من إهداء معشوقته زهورا.. يهديها قذائف من كلمات جارحة تجرح قلب معشوقته وتدميه؟

لمــاذا أيضا لا نملك القدرة علي الغفران لمن نعشقهم رغم الاعتذارات؟

أخيرا.. أعتقد أنني لا أستحق منك هذه القسوة........ ليتك فقط تعرف كيف تحبني)))

لأول مرة لم يقاطعني أحد أثناء الكتابة. وضعت مفكرتي في المكان السري خلف إطار يتوسط مدخل الشقة حتى لا تقع صدفة في يد متطفل. (إذا أردت أن تخفي شيئا ضعه في أوضح مكان).

[٢٦]

أنتزع جسدي بعيدا.. يمضي ويغلق دونه الأبواب.

أنت لست أنت!!! يدك باردة.. قبلاتك أسكنت الثلوج بوجهي وقلبي.. نظرة إتهام في عينيك يا جابر لا تصرح بها.. تحملني خطايا العالم وسبب خروج أدم من جنة الخواجاية. وأنا بناري أشتعل هنا.

لم تسألني عن رضيعتنا.. لم تحتضنها وكأنها ليست ابنتك.

- تعال قهوتك ساخنة. تمسك بالكوب تعترض أن الوجه حط عليه الذباب.

أهكذا عدت؟! القطن الأبيض تسلل وهزم الليالي السوداء في شاربك وشعرك.. لماذا لا أراني في عينيك؟! لماذا تفتش الأرض بنظراتك منذ وصولك للدار.. هل فقدت شيئا؟! آه.. فقدت الكثير.. براءتك.. ابتسامتك.. قناعتك بما في يدك.. نفسك الهادئة المطمئنة.

فقدت بهجة وجهك ولمعته.. ماذا أيضا فقدت لا أعلمه؟

تجلس علي كرسيك كملك فقد عرشه.. تحمل علي كتفيك آلاف الهزائم.. مالها نظراتك خجلي تمسح الأرضية التي تحولت لسيراميك كما أرسلت وطلبت..جدران الدار المدهونة الذي أعدنا بناءه وارتفع طابقا كما رسمت وخططت.

جسدك العفي أصابه الوهن (فيمَ أبليته؟) أنت لست أنت وأنا لم أعد أنا.. المتلهفة والمشتاقة التي أحبتك من قبل.. ثلوج تتراكم

بينــنا تحاصرنا حتى في الفراش.. لم نعد كما كنا.. أصبحت نارا تشــتعل فــي أحضـــاني.. نارا تلسع جسدي.. لم تعد رجلي الذي انتظرته ما يقارب العام.. ليتك ما عدت.

الحجــرة ضـــيقة تــزداد ضيقا.. والسرير في المرآة يبدو متسعا.. وجهك المتطلع في المرآة انزوي في ركن ووجهي احتل المرآة... وحده.

بـــدا بشعا حين طرح ملابسه أو ربما لم يكن بشعا.. ربما أنا..... لا أدري.

نظـــراته مطرقة أحيانا.. شاردة كثيرا وعيناه بليدتان.. يداه ترتعشـــان. أنفاســـه تجثم علي صدري وعطره يخنقني.. يضيق صـــدري.. أبعثر نظراتي علي الجبل الرابض خلفنا.. ألمح الجبل يضـــيق الخـــناق علينا ويحاصرنا.. أختنق. تشرد نظراتي للنافذة المفتوحة والسماء المتسعة والقمر الذي تظلله غمامة.

يستلقي منهكا يبكي حدائقي المغلقة دونه.. يقول إنه مرهق من السفر.. أنتزع جسدي بعيدا.. يمضي ويغلق دونه الأبواب.

[٢٧]

انطلقت يمناي تعيد تمثيل المشهد الذي أداه بيسراه
كما حدث مرات ومرات كلما اختليت بنفسي

(((واحشني من هنا حتى أعمق عضلة في قلبك

تريدنـــي أن ألقـــي قســـوتي في وجهك.. وأنا لم أر سوي ملامحـــك المرسوم فيها مليون بسمة وعينيك اللتين تضحكان في وشي وإرهاق وهموم العالم يسكنهما.

تهمـــس لـــي وتـــبص بعينين تجمعان شقاوة العالم.. تطل العفاريت منهما وتتقافز تريد الإفصاح عن نفسها.

مـــن أول نظرة أفهمك.. تتلفت حولك "ممكن أحضنك قدام الناس" ألتفت حولي وأضحك.

قـــبل عبوري الوحل تلقي حجرا.. حقا أنك رائع ومختلف. أعطيتني عيونا تضمني وقلبا........... و [أنا أحبك وأقبل الركن المنـــزوي الضئيل القابع في ظلام قلبك.. أشعر أن الله أعطي لي الكثير والكثير وأنه وهبني (ملكا لا يبلي) وعرشا ملكته ومكانة لم تعط لأحد قبلي ولا بعدي].

كيف أكون عذابك وأنت سر سعادتي؟

قلبـــي يمـــوت من الحزن ألف يوم في اليوم لو كنت يوما مصدرا لحيرتك وشقائك))).

(((كــنت أحلــم بسيناريو آخر بخلاف ما حدث.. لم تتحقق سوي لمسة يده التي أشتاق لها كثيرا.. كنت أتمني أن يــ......... و.............. لكــن المشهد آثار ذهولي ونشوتي وكأنني أحلم.. لمساته علي ساقي.. علي ظهري و..............

بعدها وبالرغم مني انطلقت يمناي تعيد تمثيل المشهد الذي أداه بيسراه كما حدث مرات ومرات كلما اختليت بنفسي))).

طرقات علي باب الشقة.. ترحيب بالضيوف وأمي تناديني "يا أمل" أهرول قبلما تأتي أختي الصغيرة بنفسها لمناداتي.. أخبئ المفكرة تحت الوسادة لحين رحيلهم.

[٢٨]

الغربة أبدلت وجهه الوسيم وجها لتيس يضاجع الإناث أينما يجدهن.

- إنتي مش حاسة بيه لساي بأحبك يا شمس.

((مــنذ طفولتنا وأنتِ حبي يا شمس.. لعن الله الغربة التي انتزعتك مني وأهدتك لرجل غيري..هو أيضا رحل للخليج مثلي.. هو عاد ملكا وأنا ازددت صعلكة.

دائمــا تتحاشى انفرادي بها.. وحيدة مثلي.. حزينة مثلي.. شــهر واحــد في العام يقضيه معها والباقي بالخليج.. توفي شقيق زوجها بالقاهرة.. استعرت سيارة صديقي.. قلت لهم "السفر بهدلة تسافر برفقتي وأهلي".. قالوا "ونِعم يا منصور"- من منا لا يكذب

- قلت:
- خالتي تعبت لن تسافر معنا.. قالت:
- لا بأس. قلت:
- عمتي شفيت لن تسافر معنا.. قالت:
- لا بأس.. قلت:
- أمي اعتذرت لن تسافر معنا.. ارتعشت أهدابها)).. قالت:
- افتح الباب يا منصور.
- إحنا عدينا حدود البلد والدنيا ليل والليل طويل بدونك يا شمس.

- إنت عايز مني إيه يا منصور؟ أنا متجوزة وبأحب جوزي؟
- ماتخدعيش نفسك يا شمس إنتي ما حبتيش ولا حتحبيش غيري (تطرق).
- حتى ولو ده صحيح.. عايز مني إيه؟
- أنا بحبك ومحتاجلك يا شمس.

((نحـــن فـــي السيارة لا ثالث لنا والليل أمامنا طويل.. في القاهـــرة أيضا شقة صديقي لا أحد يسكنها يا شمس ومفتاحها في جيبي... لحظات هاربة نقتنصها..أمام الباب وقفت.. قالت:

- افتح الباب يا منصور)).
- إنـــت عايزنـــي لليلة يا منصور.. كل حاجة فيك تغيرت حتى سلامك ولمسة إيدك.
- طـــب هاتـــي إيدك كده حسي بلمسة إيدي - أعطيتها يمناي وقدت بيسراي.. تساقطت دموعها - فيه إيه؟ زعلتك في إيه يا شمسي؟
- أنـــا مش عايزة أضعف. الليل و.... حاجات كتير خلتني أحس إنـــي عايـــزة أترمـــي فـــي حضـــنك وأنـــا بـــألمس إيدك يا منصـــور.((أمســـك يسراي بيمناه لثمها لثمات.. اشتدت بعدها حـــرارة لثماته.. أسحب يدي كلما تقترب سيارة. شفتاه تتحرك علي ذراعي بجنون تتوقف عند مرفقي)).
- [أشـــير للـــنخل علـــي جانبي الطريق] حبك زى النخل عالي وطـــارح عمـــره ما يموت جواي يا شمس. ((قلت إن النخلة عمتنا.. تشبهنا كآدميين تبدأ صغيرة وتكبر.. تنحني قامتها عند الكبـــر قـــبل السقوط والموت مباشرة.. نلمح والسيارة مسرعة نخلـــة منحنـــية هامتها تميل بأوراقها الصفراء نحو الأرض..

انقبضـــت شمس.. قالت إنها تكره انحناء النخل والبشر وتكره الموت أيضا)).

- احضـــنيني ((أتمـــنع.. يقتـــرب بشفتيه أكثر.. يمد ذراعه علي أتســـاعه أبـــتعد قبل ابتعادي أجد نهدي في يده أنسل بسرعة.. أسمع نعيق بومة)).

- أعوذ بالله.((أفيق))

- دي كلها مخلوقات ربنا يا شمس.. بتسبحه.((أقبل يدها وأضعها علـــي صدري.. بطني.. أسحب يدها لأسفل بالتدريج.. تشهق وتسحب يدها وتسبني سبا غير جارح)) تسألني.

- تأكـــل؟ ((تخرج بعض الشطائر.. أباؤنا كانوا يتزودون بالحمام والـــدجاج المحشي.. جيلنا يحمل الشطائر زادا.. طلبة الجامعة يأكلون أكياس الشيبسي والبسكويت.. من سيأتي بعدهم لا نعلم بماذا سيتزودون في سفرهم الطويل ربما كبسولات وأقراص)).

((أوقف السيارة وقضم شطيرة واحدة.. تركته يسحب يدي ويضـــعها من جديد ويضغط.. لحظات ضعف لم أعشها من قبل.. بدا وكأنه في عالم آخر.. كرر المشهد مرات.. في النهاية ثرت.

قـــال يبدو أنه ضل الطريق.. اللافتة أمامه (منحنيات شديدة الخطورة) هل نعود ونبدأ من طريق آخر)).

((حـــين خـَــرجت شـــمس مـــن الحمام وجدت باب الشقة موصدا.. زعقت فيّ "افتح بالباب يا منصور" مما تخافين أنا وأنت وحدنا يا شمس؟!غبية أفسدت اللحظة التي انتظرتها طويلا)).

((بـــدأ يحـــرك يده علي صدري أبعدتها.. تسلل إلي ساقي و........ بعد تمنع تركته.. ردائي السميك جعله يرفع يده سريعا وينتبه للطريق أمامه)).

– طب هاتي بوسة.

اقتــربَت.. قبلــتها بهدوء في الأولي.. تذوقتها بلساني في الثانــية.. في الثالثة بلغ بي الوله مداه كنت ألتهم شفتيها التهاما في صــوت مسموع.. وجهها كان يتلون بألوان الطيف بينما لم ترفع عينيها في وجهي..قالت:

– أنا مش نسياك إنت في بالي دايما يا منصور.. البت ما بتنساش أول واحد لمس شفايفها ((كانت أيام يا شمس ليتها تعود.. نفير سيارة قادمة علي بعد أفاقني)).

((قالت "لو ما فتحتش باب الشقة حازعَّق" غبية!!!!!! أفسدت نشــوتي وتعب الطريق وكل اللحظات الجميلة التي اقتنصتها في السفر الطويل.. كان طبيعيا بعدما حدث أن............. غبية))

((وصــلنا ظهــرا. أوقــف السيارة لدهشتي – وأنا الجاهلة بــدروب القاهرة – لم أزرها سوي في شهر العسل مع زوجي – في منطقة شعبية أمام أحدي البنايات.. من أول وهلة أدركت أنها ليست شقة العزاء.. لا مجال للتراجع ولفت الأنظار.. رجال علي المقهى المقابل بأعناقهم يطلون.

قدمنــي لسـيدة علــي أنني أخته – رغم تباين ملامحنا أنا البيضــاء بعينــيَّ العســليتين وهو شديد السمار بعينيه السوداوين وملامحــه الوســيمة– أتتــنا بــزجاجة ماء مثلج.. دخلت الحمام اغتســلت.. وجدته أغلق باب الشقة بالمزلاج.. يعلنون سخطهم – أقاربــه – ويقولــون إن الغربة أبدلت وجهه الوسيم وجها لتيس يضاجع الإناث أينما يجدهن.. لا ينظر لفتاة إلا بشبق)).

((قلــت لهــا "عينيكِ يا شمس بلون العسل أجمل ما فيكِ".. قالت بدلال "بس عينيَّ يا منصور حلوين؟" تأملتها من رأسها حتى

أخمـــص قدميها بشبق.. أطرقت بخجل.. فاجأتني سيارة تتقدم من اليسار جعلتني أسحب نظراتي لأرميها علي الطريق)).

((حــين أرهقــته القيادة وغلبه النوم أسند رأسه للخلف وأوقف الســيارة.. بدا مرهقا ورقيقا وحنونا..عيناه عذبتان ناعستان تحبني و شعره مقصوص ومصفف بشكل جيد.. مررت يدي علي شعره قائلة:

- المــرة الجايــة إدي الحلاق بيضة ورغيف زيادة يخبي الشعر الأبيض. كانت شعيرات بيضاء متنافرة تغزو شعره رغم كونه يماثلني سنا.
- الغربة والهموم يا شمس..غربتي في السفر.. غربتي في السجن وغربتي في بلدي.. غربتي عنك يا شمس.
- كلنا غربا يا منصور(طوبي للغرباء))).

((- إيه اللي غيرك يا شمس.. أوعدك مش حأزعلك.

- لو ما فتحتش باب الشقة حأزعق يا منصور.

كــنت أنتظــرها.. أنتظر أن (أفج مسامات تتأرجح/ أقضم ذؤابات لم تبرح/ أجز شعيرات تتفتح/ يشعلها الوهج الشهي/ تغيب فأتمطى)[١٤] أفقت علي صراخها في وجهي "افتح الباب")).

فتحت الباب.. قلت:

- إنت غبية وجبانة.

((هــو الغبــي.. كــيف يتصور أنني سأتعرى لرجل ليس حلالي.. غبي))

((أوصلتها لأقرب مواصلة وأنا ثائر تماما بعدما اصطدمت ســيارتي – أقصــد سيارة صديقي – في سيارة أخري مسرعة.. لعنت شمس وكل النجوم.. أفلتت بفعلتها شمس)).

[٢٩]

في الساعات الأكثر قربا وحميمية يمكنه أيضا... أن يقبل قدميها

(حفر أصابعي بلحم [كتفك] / في ساعات الوجع الحلو)[٥٠].

ملحـوظة:- يا لسذاجتي! كنت أظن أن الرجل - الجنوبي خاصة - لا يمكنه تقبيل يد امرأة.. لكنني أدركت أنه في الساعات الأكثر قربا وحميمية يمكنه أيضا... أن يقبل قدميها))).

- يا أمل. تليفون.

أختي تنادي..لا يمكنني الكتابة أبدا دون إزعاج.

[٣٠]

قال آخرون هم مائة بل يزيدون.. حيثما
يتوقفون تشتعل النيران في المدينة

قال أحدهم إنه كان مشهدا لن تنساه المدينة طويلا..ألسنة النار كانــت تــتدافع للسماء ودوي انفجارات يُسمع علي بعد بينما أضواء الألعاب النارية المبهجة تملأ سماء المدينة التي مازالت تتثاءب.

تساءل الناس في المدينة لماذا أطلقوا الألعاب النارية واليوم لــيس بعيد ولا موسم ولما أعياهم التفكير خمنوا إنه بمناسبة العيد الذهبــي أو الفضي أو الـــ..........(أي عيد والسلام) لافتتاح أحد فنادق الخمس نجوم التي تسكن جزر النيل.

هــرعت قــوات المطافــئ لمكان الحريق.. ظلوا ساعات يحاولــون إخمــاد النيــران التي انتشرت في فيلا الكبير وحديقته وانتشرت بعدها في عدة أماكن بالمدينة أيضا.

تجمعت قوات الأمن تحيط بالفيلا وتسد المداخل والمخارج.. تقــبض علــي كل من تصادف مروره في هذا الوقت المتأخر من الليل وتمنع مرور أي متطفل.

لما انتشر الخبر هرول البعض تاركين نومهم لمكان الحادث متســلقين أســطح البنايات الحكومية القريبة وهم يفركون أعينهم ويطردون النعاس منها.

قـــال ثان إن العجيب في الأمر هو القطط التي اندفعت من باب الفيلا مشتعلة وقد زادتها النيران جنونا.

قال واحد كانوا خمسين قطا وقطة قال آخرون هم مائة بل يزيدون.

حيـــثما يتوقفون تشتعل النيران في المدينة.. بعض القطط ألقت بنفسها في النيل لتطفئ نيرانها ومن لم تمت بالنار ماتت بالماء.

قـــال ثالـــث إن الحمام القاطن في البرج الضخم القابع علي يمين مدخل الفيلا اندفع للسماء مشتعلا فارا من جحيم النيران في كـــل الاتجاهات تاركا الزغاليل تحترق وحدها بالبرج. ما إن يحط علـــي مكان حتى يشعل فيه النيران وإنه لساعات طوال وفي كل أرجاء المدينة زكمت أنوفنا رائحة اللحم والريش المحترقين.

شـــاهد أحـــدهم كلبة الحراسة متفحمة وجراءها أيضا. فمها كـــان قابضـــا بشـــدة علي قطعة قماش. يبدو أنها احترقت وهي تحـــاول سحب جرائها حديثي الولادة وفراشهم بعيدا عن النيران.. بقية الكلاب فرت بنفسها.. هامت علي وجهها ولم تعد لفيلا الكبير.

أقســـم أحـــدهم – ممـــن يجاورون فيلا الكبير – أنه في عدة أمســـيات شاهد بعينيً رأسه رجلا في جلباب مهندم نظيف لولا بقع دمـــاء جافـــة علـــي صدره.. يحمل شمعة في يده يروح ويغدو بها ورأسه متدلية علي صدره متورم الخدود فاتحا فاه علي آخره.. كان يظنه أحد الخدم بالفيلا يسير ببساطة لولا أنه لاحظ ملامحه بوضوح وعـــن قـــرب في إحدي الليالي المقمرة وانطلق يجري. ربما أمسك لهب الشمعة التي يحملها بعشب أو حشيش جاف في الحديقة.

الملامـــح التي أدلي بأوصافها تطابق ملامح الحاج صادق التاجر المعروف والذي توفي أثناء القبض عليه والتحقيق معه في

قضية آثار.

يقولون إن أحدهم رمي عودا مشتعلا أو عقب سيجارة في برج الحمـــام البعيد عن الحرس - عن عمد أو دونه - وتكفلت الحمامات الفارات بإشعال النيران في الفيلا وباقي الأماكن في المدينة.

يقـــول آخـــرون إن أحدهم أشعل النيران في فأر طارده قط توقدت النيران حيثما حلا واتسعت المطاردة.

قال أحد العالمين ببواطن الأمور إن مجهولا أرسل صندوقا للألعاب النارية لحفيد الكبير طالته شرارة ما.

أحد المخبرين قال - بعدما استحلف قريبه ألا يخبر إنسي بما سيذيعه عليه - إنهم شاهدوا أربعة أحرف كبيرة مكتوبة بلون أحمر (ربما يكون دما) علي جدار صالة فيلا الكبير والحروف هي ص.ا. د. ق تبدل وجه الكبير حين رآها وهمس بكلمات غاضبة لمرافقه.

مـــا تتناوله الشائعات بأن الكبير - الذي كان غائبا- وصل سريعا للفيلا وزوجته فارقها ذهول الحادث سريعا لتسأله في دهشة "ألم تكن علي سفر؟" تركت الجميع يبحثون ويجمعون الأدلة وهي انفـــردت بالكبير في إحدى الحجرات.. كان صوتها غير مسموع بوضـــوح في البداية بعدها علا صياحها ولم يتوقف قائلة أنها تشم في ملابسه رائحة امرأة.

هالهم بأن الكبير- الذي يخشى الذباب الوقوف علي وجهه- لم يسمعوا له صوتا.

[٣١]

.. إتفقت هي – دونه – أن تظل معه في تواصل للأبد.. جاءت بحبل.. شنقت نفسها في الشجرة التي طالما جلسا تحتها.

– آلو.......

– آلو........

((قلـــت لها إن قاصة عربية أيضا كتبت عن صديق تتواصل معـــه البطلة عبر الهاتف لسنوات خلت.. مشاعر الحب بينهما آخذة في النمو.. اتفقا بعد سنوات أن تراه ويراها ويقضيان معا عدة أيام.. روحهـــا تنافـــرت مع روحه بمجرد لقائه.. افترقا بعد ساعات دون حتى أن يحددا متي يتصلان ثانية. [كلماتي كانت تعكس قلقي].

فـــي هاتفـــي الســـابق قلت إن كاتبا روسيا كتب عن رجل وامرأة يتواصلان عبر الهاتف ونمت مشاعر الشوق بينهما.. إتفقا بعد سبع سنوات من التواصل هاتفيا أن تراه ويراها.

فـــي الســـنوات السبع السابقة للقاء كانا قد إتفقا ألا يتزوج أحدهما من آخر.

بعـــد ســـاعات من لقائهما الأول أصرا أن يظل تواصلهما جسدا وروحا.. تزوجا.. اتفقا ألا ينجبا حتى يستمر حبهما.. مرت أعوامهما في سعادة.

فـــي ساعات احتضاره.. إتفقت هي – دونه – أن تظل معه

فـــي تواصل للأبد.. جاءت بحبل.. شنقت نفسها في الشجرة التي طالما جلسا تحتها.

أعلنت تألمها لنهاية بطلتي الروسية لعل نهاية بطلتي العربية أقل ألماً..[لن تعيش دون حلم.. دون تواصل مع حبيب])).

- أنا قلقان

- ليه يا خالد؟ ((لماذا تقلق يا حبيبي روحانا حتما ائتلفتا منذ هاتفنا الأول.. روحانا مجندتان لتتآلفا لا لتتنافرا. لكن لا تتعلق بي.. مصير علاقتنا الفراق)).

-.........((لماذا أخشي لقاءها مادام ليس هناك أمل)).

قال إنه أزال الشعيرات الزائدة من لحيته وأنه ترك قراءاته وأنه............ وأنه.......... استعدادات كثيرة للقائي.. لكنه لـــم يستقر علي أي بنطال يرتديه ليكون واجهته في لقائنا الأول.. هل أحب الألوان الفاتحة أم الغامقة لأحسم تردده؟

- وأنا مش عارفة ألبس إيه؟

- (البسي أي حلم واخرجي). ضحكت. قال إنه من أشعاره.. كلما يقترب ميعاد لقائنا يزداد اضطرابه.. يتحدث بلهجة أكثر جدية تخالف مرحه المعهود.

- أنا معاكي في حلم.. مش عايز أصحي منه.

- وأنا كمان يا خالد.

- حأعرفك إزاي؟ ملامحك.. شعرك طويل ولا قصير؟

- بألبس حجاب.. طرحة صغيرة.

- عارف طبعا.. لكن شعرك.. طوله؟....... ملامح وشك حلوة.. صحيح؟

- صح.(تجاهلت الرد علي طول شعري لو قلت إنه أسفل ظهري سيصدق).

- سمارك فاتح.. خمرية.. قمحاوية؟

- لا.. أنا سمرا.

- سودا يعني؟

- لا.

- طولك.. طويلة؟

- لا.

- مليانة.. تخينة مش كده؟

- لأ مش كده. مليانة لكن قوامي ملفوف.

يسألني عن أنفي إن كان أفطسَ ككثير من السمراوات. أرد بأن أنفي مدبب هو أجمل ملامحي.. يسألني..... ويسألني........ بيـنما أنا منذ اللحظات الأولي خمنت ملامحه.. بشرته البيضاء.. عيـناه العسليتان.. طوله الفارع.. وزنه الزائد.. حتى سنه حددته بالتقـريب.. كل تخميناتي كانت صائبة ماعدا شعره شديد السواد وليس بنيا كما ظننت.

كلما يقترب اللقاء يزداد قلقه ويزداد رعبي.

[٣٢]

كان يقترب من أنثاه وتتباعد حتى غابا عن النظر.

كل مساء حين أعود سائرا بجوار دار طاهرة تصلني نهنهتها.

حين جاءت لزيارتنا أخيرا قالت:

- ياريتك يا خوي قتلتني أرحم. كان يبدو عليها الإرهاق والمرض.. وجهها المتفتح الزهري ذبل وفقد نضارته.. بقعة داكنة في ذراعها بدت حين شمرت لتساعد أمي.

سألتها قالت.

- وقعت يا منصور.

علي أشجار السيسبان القريبة كان غراب يحط علي أحد الغصون.

مد منقاره يقاسم الشجرة ماءها.. تواريت حتى ارتوي بلونه الرمادي وجناحيه الكالحين.

بعد حين عاد ومعه أنثاه.. حين حطا علي الأرض كان يقترب منها وتتباعد. كانت تحجل قليلا بينما بقعة دماء مجمدة في أحد ساقيها. أطرقت بوجهها ترقب الشجرة التي ابتلعت الماء دون قطرة تتركها لها.

أخذ - هو - ينظر حوله بقلق.. بينما لم ترفع - هي- وجهها الحزين عن الأرض اللينة.

- حــين جــاء جابر لأخذها تشاغلت عنه بأشياء وأشياء.. آه لو تشكو أو تتكلم.. سألتها صمتت.. حاولت معه أنكر-

كان الغراب يقترب من أنثاه وتتباعد حتى غابا عن النظر.

[٣٣]

دائما لا أجيد الجمع وكثيرا ما يطرح مني وفي النهاية أرضخ للقسمة.

(((بضع عيون وعدة ضحكات ترمقني

أنا أحب.. إذن أنا أحيا.. كائن حي.

(شــجرة يابسة أنا).. كائنة.. حية.. تيبس يوما بعد يوم ولا تنحني للريح.

يقولون "أسقطت الريح أوراقك فلتنحني يا أمل قليلا لتمر الريح".

وأنا أسمع طقطقة أخشابي تئن وتترنح.

أقــول"يد الحطاب لا ترحم أسقطت فروعي الهشة وأوراقي الغضة وحطمت أعشاش طيوري.. لماذا لا تدفعهم عني؟"

تقول "كوني صلبة. كوني أو لا تكوني. كوني.. لا تكوني. كوني لي أو لا تكوني يا أمل"

ألقــي برأسي علي صدرك.. تبتعد وفي قلق تتلفت حولك.. ألتفت حيث عيونك تسكن.

أجد عدة ضحكات في بضعة عيون.. أحصيهم.. أخطئ في العد.

دائمــا لا أجــيد الجمــع وكثيرا ما يطرح مني وفي النهاية أرضخ للقسمة.

أسالك "حين تنظر في مرآتك.. هل تراني؟"

تتعجب وفي عينيك ترتسم نظرات العتاب "طبعا"

علـــي الأرض أقدامك.. في السماء رأسك.. وجه السحاب مرآتك.. تتأمل ذاتك.. تتضخم صورتك وصورتي تتضاءل.

فـــي ركـــن صـــغير فـــي أقصى المرآة أنزوي.. تقول "لا أراكِ..أين أنتِ؟!"

أقول "لن تراني".

تقـــول "لا تلزمني عينان لأراكِ.. بقلبي دائما أراكِ يا أمل.. خذي عينيَّ إن شئتِ"

أقول "لن تراني"

تقول "أريد أن أشبع بملامحك عينيَّ"

أقـــول"لـــن تراني..حين تري ذاتك (المدي يضيق) والرؤية تضيق والمسافات تتسع"

تشير من عليائك "انظري" أحدق "لا أري شيئا".

تقـــول "ألا تـــرين العـــيون المحملقـــة فيـــنا والضـــحكات المرتسمة؟!"

أحصيها ثلاث ضحكات لا بل ثماني عيون.. لا إنها.....

كـــيف لا أخطـــئ حســـاباتي وصورتك تتسلل دائما وتحتل الكادر؟!

* * * *

تقول "رأيتك في أحلامي.. أُقبلك".

أقول "رأيتك في أحلامي..تصفع كلماتك وجهي وأبكي".

أقف يحتضنني الخواء والاتساع والطعنات وأنت تقف بعيدا- بشموخك وعينيك المرهقتين وحنينك - تتشبث بفرجة في القلب تضيق وتضيق.. يتعمق جرحها ويتسع نزيفها.

أقول "في القلب لم يعد متسعا". تطرق بحزن "عودي" يهزمني حنيني وأعود.

أقول "طوقني بذراعيك.. احتويني".

تمتد يداك لأجد الحزن يطوقني وأنا أتلاشي.. (أذوب نقاط دمع تتعلق بأهدابك) وبعينيك أراهم بضع عيون وعدة ضحكات تتردد في الأفق.

* * * *

في مستنقع آسن أقف دون أقدام ويوثقون يديَّ.

وأنت تتقوقع وتتقوقع.. تتغلق عليك أبواب محارة - دوني - ترميني بنظراتك المتسللة في حذر.

أسالك "ألن تعطيني يدك؟!"

تقول "أعطيكِ قلبي.. أليس بكافٍ".

تمدد قلبك في كفك مثقوبا تتساقط منه الأيام والذكريات والساعات الحلوة تتناثر فتاتا.

قطرات مالحة حارقة تسكن عينيَّ وتنساب علي وجهي.

تهمس بحذر "ألا ترين كل العيون تتأملنا" بيدي أمسح عبراتي ورتوش ضحكة أرسمها علي وجهي.

تربت علي خدي بحنان "هكذا يا أمل أحبك دائما ضاحكة".

* * * *

((متوجة أنا علي عرش قلبه..مالي أراني بلا صولجان.. تاه مني تاجي وفقدت كرسيِّ عرشي؟!)).

أســاقط عليك بعضا من حصيات عذابي.. أقذفك بها.. تتألم في صمت.

أقــول "لماذا لا تصرخ؟! صمتك يؤلمني.. لماذا تتألم هكذا في صمت يليق بصوفي؟!".

تقول "(في العشق يفني المحبوب)".

تلقينـــي بنظـــرات يرتســـم فيها حزن العالم وضحكه وقلقه "افعلي ما شئتِ فإني قد غفرت لك".

أضمك بلهفة تذوب بين ذراعيَّ.. قطرات باردة تبلل كفيَّ.. تتبخر مع شروق الشمس.

يصــلني صــوتك كهسيس الريح "ليتك تنظرين" أراها عدة عيون وبضع ضحكات تتردد. ترجوني علي البعد "قفي بعيدا لئلا تختفي الضحكات".

* * * *

((عصــفورة أنــا أهفو لأجنحته أن تحتويني يوما تضمني وأشعر دفئها)).

تقول "أميرتي أنت لكِ ما شئتِ"

تــنفخ لـــي مـــن روحـــك عشـــا.. هشـــا.. بلا سقف ولا جدران..العنكب يزاحمني فيه.

أقول "حبيبي................."

ترميني بنظراتك اللاهية من خلف عوينات زجاجية تلقيني في بحر لجي عميق أغوص وتغوص الكلمات الحلوة هاربة منا.

ترســل لي بعض الآهات حارة دافئة أو ترميني بحصيات صغيرة تدميني.

في صمت أرفرف مبتعدة.

تقول "عودي".

أقول "يشدني الحنين إليك.. لكن لن أعود".

تقول "أرجوكِ عودي".

أقول "كل من أحببت ألقيتهم بسلة محذوفاتي.. وحدك ستقبع بالذاكرة".

تقـــول وزقزقة عينيك تجمع بين حزن الليل ووهج الشمس وطلعة القمر "افعلي ما تشائين فإني قد غفرت لكِ")).

تساقطت دموعي.. أغلقت المفكرة.

وضعتها تحت وسادتي وتملكني الأرق حتى أذان الفجر.

[٣٤]

كنت أشعر بدفء قلبك يسكن يديك دفئا يتسلل مباشرة إلي قلبي.. الآن لمسة يدك تسكن قلبي صقيعا.

قلت له بعدما عاتبني:

- كت زمان حاجة تانية يا منصور.. قلت تعبت م السفر سبني أنام ما رضتش.. كت زمان ساعة ما أتالم ألمي يسكنك.. كت قبل ما تشرب تسقيني.. كت دافي وإيدك دافية ((كنت أشعر بدفء قلبك يسكن يديك دفئا يتسلل إلي قلبي مباشرة.. الآن لمسة يدك تسكن قلبي صقيعا.. وجهك المضئ اختفي.. قتامة تظلله.. توقفت لتزود سيارتك بالماء لم تسألني إن كنت عطشي أم لا)).
- قصدك إني بقيت أناني؟
- ما قلتش كده.
- أنا محتاجلك يا شمس.((انظر لها نظرات.. تدرك قصدي.. تشيح بوجهها)).

((ليتني ما تركت ولدي مع أمي خشيت عليه إرهاق الطريق)).

- مش أتعري لحد إلا لراجلي.
- أنا راجلك.
- غبي.. قصدي حلالي.

- وجيتي ليه؟

- نسيت معاي دول.

- اشتريت غيرهم.

((تحـــاول أن تقنعنـــي أن نظل أصدقاء.. سرت معها قليلا بعدها أوجعتني كرامتي حين قلبت الأمور ثانية في رأسي.. أظنها خدعتني وتلاعبت بي)).

((أقنعته أن نظل أصدقاء.. سار معي قليلا.. فجأة تركني.. أصـــبحت كلمـــا أراه أتشاجر معه.. اقتنعت أخيرا أن رؤيته تنكأ جرحـــي وتذكرنـــي بلحظات ضعفي وتعريني أمام نفسي.. اكتفي بمصافحته - فقط - حين أجده أمامي وجها لوجه.. وأتحاشي تماما أن يجمعنا مكان واحد منفردين)).

[٣٥]

أضم الأوراق إلي صدري تتكسر في صوت مسموع.. تتهشم الأيام الحلوة.. ساعات الفرح.. لحظات الحب.. ومضات تأملي لعينيك.. لحظات انتصارنا وانكسارنا.. ساعات انتظارك ولحظات قلقي.

(((كانت – هي – نجمة في السماء حزينة ووحيدة.. جاءها – هـو – يطلب ودها.. أحبها أكثر من نفسه فأحبته أكثر من روحها.. منحها قطراته غسلت عنها وحشتها ومنحتها الدفء والحنان.

مـدت يدها له احتوته.. جذبته نحوها لتجلسه بجوارها بين النجوم.

فجأة عصفت الريح. ألقتها علي سحابة ممطرة.

– أكاد أتجمد من البرد.. ستمطر.

أمدد يدي.. لدهشتي تتسلق النجوم نجما نجما و تفسح لنفسك مكانا بينها.. ترتفع وترتفع.. بعيدا عني.

– أنا أترنح.. هل ستدركني؟ تقول:

– تشـبثي جـيدا. تمتد لي يدك باردة تارة.. وتارة تضعها خلف ظهرك..لا تصل إليها يدي.

قال حكيم:

– تشبثي بجذورك.

- أوراقـــي تصفر وتتساقط.. الشجرة التي نمت في قلبي وقلبك لم تصـــمد لعصف الريح وتقلبات الفصول.. الأوراق جافة أدور ألملمها.. كل ورقة ساعات وأيام وذكريات حلوة ولحظات ألم.

هل ندعها تسقط هكذا ببساطة؟

أضم الأوراق لصدري تتكسر في صوت مسموع.. تتهشم الأيام الحلـــوة.. ســـاعات الفرح.. لحظات الحب.. ومضات تأملي لعينيك.. لحظات انتصارنا وانكسارنا.. ساعات انتظارك ولحظات قلقي.

- أنا أتهاوي.. هل ستدركني.

كيف يصلك صوتي وأنت تسكن النجوم؟.... أنا أموت بعيدا عنك.

تومض السماء بالبرق وصوت يدوي.

- إنه الرعد ستمطر.. والله ستفقدني.

-........................

تمطر السحابة زخات أتساقط معها.

تبكي وتناديني أن أعود مستعطفا.. مبررا.. تذكرني بالحب الذي كان يجمعنا..

أنـــا الآن قطـــرة فـــي المحيط في أمواج تتدافع.. قلت لك سأضيع منك.

تمـــد يـــدك في الماء تبحث عني.. صدقني لن تجدني..أنا أذوب..أتلاشي.. يجرفني التيار بعيدا عنك.. إنها النهاية..

يـــاه..أجـــد قشة أتعلق بها.. ما إن ألتقط أنفاسي حتي أدور أبحث عن مرفأ آخر أرسو فيه بعيدا عنك))).

صوت يناديني " يا أمل.. يا أمل" ليس هناك أمل.إنها نهاية قصتنا الجميلة.

[٣٦]

لم تعد كفي صغيرة.. أيضا لم يعد لي
أب يحتضن كفي ويجذبني حين أنزلق

- قرفني يامه بمرته الخواجاية.. شعرها كيت.. لبسها كيت.. كانت بترقص له.. بتدلعه.. وتعمل كذا...... بتحط كذا......... زهقت وطهقت.

قلت له "كل فولة ولها كيال".

- يا هبلة يا مجنونة.. ده كلام تقوله مرة.. دي اللي بيظبطوا عندها راجل ناطط من شباكها بتقول ده حرامي و إنتِ بلسانك تكشفي ستْرك.
- كرهته يامي. قلت لما يشك يمكن يطلقني.
- إنتي أصلك..... أنا ما عرفتش أربي.. أصل مافيش راجل يلمك.. لو أبوكي داري بينا – تنهال عليّ بيديها العاريتين.. تسقط علي الأرض تنهنه.. يهتز جسدها مع حركة يديها بعدها تلطم وجهها – أعمل إيه يا ربي أنا أم وأب؟!

((في قريتنا شتاءً كانت السماء تصرخ وشرارات كهربية تلمع بها.

من فتحات السقف تتساقط القطرات نعاجلها بوضع الجرادل والطسوت بعدها أجري لأختبئ تحت اللحاف وأبكي لبكاء السماء.

أبكـــي البرق والرعد وسقف دارنا الآيل للسقوط والوسعاية الكبيرة التي بلا سقف.

بعـــدما تجفف السماء دموعها ودموعي.. أقف في السطوح أجـد كل ما حولي نظيفا مغسولا.. الأشجار.. البيوت.. النخيل.. الرمال.. والجبل.. رائحة التراب المبلل بالمطر تغسل روحي.

يحتضـــن أبـــي كفـــي الصغيرة وندور لنتفقد بيوت القرية المتهالكة وهو يجذب يدي كلما انزلقت علي الأرض الموحلة.

في قريتنا أصبحت السماء تبكي صيفا وشتاء يحجبها سقف سميك.. لم أعد أخشي بكاءها ولا أختبئ تحت اللحاف وأبكي.

لـــم تعـــد كفي صغيرة.. أيضا لم يعد لي أب يحتضن كفي ويجذبني حين أنزلق)).

[٣٧]

ردت فـــي صـــوت هائم يبدو من عالم آخر بعيد.. بعيد "أيوة يا أستاذ" بينما - أنا- لم أفق من أثر القبلة بعد.

فـــي الـــركن المظلم الهادئ من الكورنيش.. لا أقدام تسير بجوارنا سوي عربات حنطور تحمل بعض الأجانب يضحكون و يمـــرحون لا يحملـــون للدنـــيا هما.. أضواء السفن السياحية بكل الألوان. موسيقي من نادٍ بعيد تتسلل للآذان يبدو أنه فرح.. فكري شرد بعيدا عنها.. فجأة سألتها:

- إيه اللي يخلي بنت ناس تزني؟ ((لا أعرف كيف ضاق صدري بالكـــتمان وخرج سؤالي)).. أطرقت ((يا لغبائي!! كيف أسأل هذا السؤال؟!)).

- أخت من إخواتك يا منصور؟

- لا طبعا..إخواتي.. ياريت كل البنات زى إخواتي.

- بـــص يـــا منصـــور. ربنا خلقنا ولنا احتياجات لازم تشبع. ما تفـــرقش بنات الناس من بنات الشوارع.. ولاد الناس من ولاد الكلب- ضحكت- حاجة ضرورية كده زى الأكل والشرب - سكتت ثواني ورمتني بنظرة أدركتها جيدا- أنا جعت قوي.

-.................... (((مـــا أبشع المخلوق حين يخلو قلبه من الهم.. الحزن وحده يزرع القبس الإلهي في القلب)[١٦])).

- هيه.. سرحت في إيه يا منصور؟ دي.... دموع يا منصور؟!
- أبدا.. طرفت عيني بضفري.
- وشك كله حزن.

((أشحت بوجهي.. أأقتل أختي.. شقيقتي وذكريات الطفولة.. لعبنا معا ومرحنا.. براءتنا الأولي.. أعلم أن الظروف ظلمتها.. لكن............ ابن الكلب تركها ورحل ثانية بعدما أعدته بالحيلة.. حجز للعودة سرا و طلقها قبل ركوبه الطائرة مباشرة حتى لا يراجعه أحد.. الوسخ)).

- ياه إنت مش معايا النهارده!

اقتربت مني.. نظرت في عينيَّ.. شفتيَّ.. والنيل صامت.. أمواجه هادئة ساكنة وحزينة.. لا نسمة هواء تداعب ورقة شجر أو سعفة نخيل أو تعبث بشراع مركب.. مسست شفتيها مسا رقيقا بعدها التهمت شفتيها. غبنا في قبلة طويلة.. طويلة. الجبل هناك بعيدا يربض في غموض ورهبة والسماء فوقه بنية مائلة للاحمرار محملة بالغبار.. رياح الخماسين في الطريق.

لم نشعر بها وهي تقع.. وهي في يد رجل معلقة وهو ينادي "يا أستاذ.. يا آنسة".

في ندائه الثالث سمعته - هي- قطع استرسالنا.. ردت في صوت هائم يبدو من عالم آخر بعيد.. بعيد " أيوة يا أستاذ " بينما - أنا- لم أفق من أثر القبلة بعد.

قال "شنطتك علي الأرض ياآنسة.. ربما حد يسرقها وإنتو....."

أخذتها - هي - منه بلا مبالاة وضجر.. بينما نبرته الساخرة دفعت الدم في عروقي في انتظار أدني كلمة يتفوه بها لألقيه في النيل.

مضـــي الــرجل تاركـــا إيانا في الركن الهادئ المظلم من الكورنـــيش.. من قلبينا تمنينا أن يسقط الرجل في النيل أو تلتهمه إحدى كائناته.

قالت إن مهمتها انتهت في مدينتنا ((كنت أعلم أن العاصفة قادمة.. لم أتعرف عليكِ سوي من أسابيع.. ليتني عرفتك منذ زمن كنا سنقضي أوقاتا ممتعة معا في أماكن مغلقة بدلا من الجلسة علي الكورنيش نهبا لأعين المتطفلين والمتلصصين)).

– حتوحشني يا منصور.. خلينا في تواصل.

ظللـــت أتفـــرس فـــي وجوه النساء في محطة القطار وأنا أودعها ربما أجد من تشغل مقعدها الشاغر.

[٣٨]

((رجل لا يضع كرسي عرشه فوق كرامة حبيبته النازفة.. حتما سيعلم حبيبي أن القمة باردة.. باردة حين يصلها ويجدني سقطت منه في الطريق)).

(((زميلـــي منصـــور الـــذي ارتفع في ناظري ألف درجة وزادت محبته في قلبي ألف نبضة. كان معي في مشكلتي.. وقف في وجه من ظلموني– أنا لم ولن أطالبه بذلك – شكرا يا صديقي بما أنعمت عليَّ.

- لا شـــكر علـــي واجـــب يـــا أمل.. يدي ترقص في يده لبرهة أحسســـت أن الجمـــيع يـــراقبنا.. سحبت يدي في اضطراب. ((الظلـــم..إحساس صعب.. الموازين تختل.. كل المسلمات.. الصـــح.. الخطـــأ.. النظـــرة الوردية للحياة والناس.. العدل.. الضـــمير.. يـــرون .. لا يتحركون.. يا رب أنت تري.. هل الإصـــرار علـــي الصواب خطأ؟ من يبيع ومن يشتري؟.. هل الانحناء مريح أحيانا؟.. كيف ينامون والمظلوم يلعنهم؟.. الظلم يشاركهم الوسادة.. الدور علي من؟))

قالـــت صـــديقتي إنـــه يبدو معجبا بي.. وقفته بجانبي في مشـــكلتي..نظراته.. حتى مصافحته.. لماذا لا أتزوجه.. قلت إنني لا أحبه.. أتمني أن أتزوج من أحبه ويحبني.

قالـــت إنهـــا حلمـــت بالأمس أنها ترتدي بلوزة أنيقة بينما البـــنطال منزلـــي.. لم تجد أمامها بنطالا آخر لترتديه.. ضحكنا جمـــيعا بينما تبدلت ضحكاتها إلي قلق وحزن حين فسرت إحداهن البنطال بالزوج.

((تمـــنعت ورفضت كل الفاكهة المعروضة في السوق..إما أنها لا تليق بها أو نوع لا تحبه.. طال انتظارها دون جدوى.

الآن بـــدأ الليل في الزحف إما أن تشتري الثمار المسنة أو المعطوبة أو التي سبق شراؤها وإعادتها أو أن تعود للمنزل وحيدة دون ثمار)).

قالـــت زمـــيلة إن (السنوات تتساقط للوراء مع تقدم قطار العمر) حينها لا يعترض القطار سوي الرعاع.

قالـــت أخري هامسة يا أمل كلما تمنعت الفتاة وتقدمت سنا يبتعد عنها العزّاب ويقترب منها المتزوجون.. لقضاء وقت ممتع.

انتفضـــت علـــي صوت النافذة تغلقها الريح.. فتحت النافذة المطلـــة علي النيل.. النيل جميل وساكن ((اليوم أجمل أيام العام.. أســـعد لحظـــة كل عام حين أفتح النافذة عقب رحيل الشتاء وقدوم الربيع.. إحساس جميل بالحرية)).

قالـــت أخـــري مطلقـــة لمـــاذا أتزوج مادمت أعشق الحياة والنوافذ المفتوحة. ردت أخري:

- شر لابد منه.

* * * *

منصـــور يزداد تقربه مني يوما بعد يوم.. ((بالقلب لم يعد متسعا للجروح)).

قالــت زميلة لا تحتاج المرأة يا أمل لأكثر من رجل يشعر بأحاسيسها.. يهتم بمصالحها.. يثور لكرامتها.. يشعرها أنها ليست وحيدة في هذا العالم.. ليس بالحب وحده يتزوج الآدميون.

((رجل لا يضع كرسي عرشه فوق كرامة حبيبته النازفة.. حــتما سيعلم حبيبي أن القمة باردة.. باردة حين يصلها ويجدني سقطت منه في الطريق.

آن الأوان ليهجع قلبي ويكف عن الأنين.. حقا ليس بالحب وحده يتزوج الناس.. فلتكن يا منصور رجلي المنتظر)).

[٣٩]

.. ليست كل الحيوات تستحق أن نحياها.. حياتنا تسبق الموت درجات حينا وتتساوي معه حينا.

أقول له (بالأمس حلمت بك) يا خالد. يقول إنه يشتاق لرؤيتي واقعا وليس حلما.

((لو كان متلهفا لرؤيتي لحلم بي أيضا.. لم أر سوي وجهه سريعا ونظارته بإطار معدني فضي لا أذكر تفاصيل أو أحداث أو ملامح وجهه بدقة.. يسألني عن الهدية التي يحضرها لي.. يعود ليقول إنه ليس جميلا.. يبدو قلقا.. أنا أكثر قلقا منك. أنا فاشلة في التمثيل لو لم تنل إعجابي حقا لبدا علي وجهي في الحال.. ستعلم ذلك من اضطرابي ونظرات عينيَّ.. ربما أنت تستطيع إخفاء مشاعرك لو لم أعجبك))

يزداد إهتمامه بي.. يقص عليّ ما لا يعرفه أحد عنه وأقص عليه ما لا أحكيه لأحد عني.. لم اعد أهاتف سواه أتصل به عصرا أعاود الاتصال به بعد منتصف الليل مرة أو اثنتين.

كثيرا ما يقوم بعمل كوب من الشاي لنفسه قبل هاتفي.. كلما أحس بالملل ولا يجد شيئا يفعله يصنع شايا و يشربه.. أحادثه ينسي الشاي تماما و لا يدرك نسيانه إلا حين يتصاعد الدخان في سماء الشقة.. أسمع صراخه أعرف أنه ترك الشاي والبراد احترق.. من

خجلي أضحك.. يقول إنه البراد الرابع الذي يشتريه منذ عرفني.

((يا رب أنا في غاية الخجل ولا أستطيع كتمان ضحكي)).

– اقتحمتي عليَّ حياتي – أغضب – أجمل اقتحام – أضحك–.

يقول إنني منذ عَرفته لا تتعدي ساعات نومه ثلاث ساعات.. يشكو برقة أنه كائن يعشق النوم ويمرض عند عدم كفايته – أضحك–((وأنا كائن يعشق السهر)).

– أنت الكائن الغامض الذي أعشقه (أنتِ شجر صحراوي لا يموت.. طائر أسطوري يعبر الماء ولا ينام ويحكي للسماوات سيرته. روح مشدودة إلي نجمة لا تنام أبدا)[١٧] ((أضحك)).

– أهون عليك يا خالد الليل كله سهرانة وحدي.. وإنت تنام.

– إتفرجي تلفزيون.. إقري كتاب.. احكي مع إخواتك.

((كل الأشياء مملة.. كل الحكايات مكررة يا خالد عدا حكاياتك.. دعاباتك.. روحك المرحة.. أضحك خاصة حين تحدثني عن والدك الذي يكبر والدتك بثلاثين عاما واستحوذت علي قلب والدك استحواذا رائعا حتى إنه لا يجد حرجا في أن يغازلها أمام أولاده المراهقين ويجلسها علي ساقيه وسط تعليقات أولاده))

يقول عن صحة والده الذي كان ضخما:

– أبويا لما كان يبوس أمي تحبل(*).

خجلي لم يمنع ضحكاتي.. ظننته تعبيرًا دارجًا في قريته الشمالية.. اكتشفت أنه من إبداعه هو.. حين قال ذات مرة إن لديه أربعة أشقاء فاجأته بقولي بلغة فصيحة ساخرة:

– السيد الوالد باس الست الوالدة خمس مرات بس. ضحك كما لم يضحك من قبل.

---

*– تحبل: تحمل.

قــال إنه ليلا عقب محادثتي يسمع دقات.. أصوات أحيانا.. صـــرخات تأتـــي من الجبل لا يعطيها أذنيه وهو مستيقظ.. لكنها تجبره علي الصحيان منتفضا عند نومه.

((علـــي مرمي أمتار من استراحته قُتل غريب أخذا بالثأر لن أقول له هذا - يقول إنها أصوات وحدته- استراحته ظلت مهجورة دون مدرس يسكنها والعفاريت تسكن الأماكن المهجورة - يقول إنها الأصـــوات التـــي تتصارع داخله - أرجوه ألا يدخل الشرفة مساءً وحـــيدا ربما تعشقه جنية.. يقول إنه في كل مساءا ته وحيد لا يجد حـــوله سوي الجبل رابضا موحشا غامضا يبادله النظرات الغاضبة وأنني دخلت قلبه وتربعت داخله لن تلجه إنسية ولا جنية)).

((لن أقول لها ما رأيته.. لن تصدقني.. ستظنني أخدعها..لا داعي.. أو ستسخر مني كما سخر الزملاء مني. كنت أحفظ قصيدة رومانسية لأسمعها لها ظللت أروح وأجئ وبصوت عال في وقت الســـحر أقـــرأها.. في استدارتي الـــ......... كانا أمامي تسمرت لحظات. قالا:

- لماذا لا تصمت.. في الصمت سبع فوائد هل تعرفهم؟ قلت ولم يفارقني ذهولي:
- لا.. ماهي؟ قالوا:
- فاتتنا الأولي والثانية أما الثالثة والرابعة نسيناهما أما بخصوص الخامسة والسادسة فهما كالسابقتين نسيناهما أيضا. قلت:
- والسابعة؟ قالا:
- ألا تسمعنا صوتك الأجش ولا شكواك ولا أنينك.. تنام ليلا ولا تـــزعجنا بأحاديـــثك الغـــرامية مع (البت قلق) وحراكك ذهابا وعـــودة في أنصاص الليالي - ضحكت هل أسميتموها قلقا؟ - نم في النوم سبع فوائد هل تعرفهم؟ قلت:

- نعـــم.. فاتتكم الأولي والثانية أما الثالثة والرابعة نسيتموهما أما بخصـــوص الخامسة والسادسة فهما كالسابقتين.. والسابعة ألا أســمعكم صوتي الأجش ولا شكواي ولا أنيني.. أنام ليلا ولا أزعجكما بأحاديثي الغرامية وحركتي ذهابا وعودة في أنصاص الليالي. قالا:

- أنت أتقنت اللعبة سريعا! سترتقي سريعا.

أزت ناموســـة ووقفت تثقب وريدي بخرطومها الماص.. طاردتها حتى قتلتها.. قال أولهما:

- أنـــت أشجع الشجعان وستكون أفضل لو دهست صرصورا أو نملـــة.. الحـــياة أحقر من صرصور والنملة أجدي من الحياة. سألني:

- هل تحب الحياة؟ قلت:

- بالطبع. قالا:

- لنتأكد. ألقياني في سفينة في بحر تتلاطم أمواجه.. أدور بشراع ممـــزق.. ينشـــق البحر عن حوت يلفظ الرجل الساكن جوفه ويبتلع سفينتي وبحري.. قفزت من السفينة وجدتني في ظلمات ثـــلاث تبدأ بمعدته وتنتهي بقاع البحر. بحثت عن مخرج حتى اهـــتديت عبـــر فتحة إخراجه.. سبحت مع الموج حيث يلقيني والريح تزمجر وأنا في عرض البحر.. سألتني الأسماك:

- أين ستبحر؟ قلت:

- علـــي حســـب الـــريح أنا بلا صديق ولا أهل ولا وطن. قالت الأسماك:

- لماذا لا تتخذ لك نسرا أو صقرا مطية وحاميا ومرشدا.

-.................... [نســر في الماء؟؟!] دفعت برأسي لسطح الماء.. شهقت شهقة الحياة.. كانا أمامي.قالا:

- أنت حقا تحب الحياة.

-.................... [مــن منا لا يحبها حتى التعساء لا يحبون المــوت.. كبار السن يتمسكون بالحياة أكثر.. أتعجب ما الذي يــرونه في الحياة جميلا ليتمسكوا بها هكذا؟!] رموا لي بنسر ضــخم هالتنـــي رؤيــته ظننت أنه سيسقط فوقي و يغرقني.. لدهشتي.............)). قطعت أفكاري بصياحها:

- ما بتردش ليه؟ سرحت في إيه؟

- هه... أبدا أنا معاك.

- حأموت وأشوفك يا حـــ........

- هه........... يا إيه؟

- بأقول يا خالد. ((كانت ستفلت مني كلمة حبيبي))

-............................ برضــه مش راضية تقولي اسمك ولا تليفونك رغم كل الحب اللي بينا – يلين صوته ويرق– إنت بتشكي فيّ يا روحي.

- ((يا ربي قلبي رهيف لا يتحمل كل هذا)) لا والله أبدا يا خالد.

- ما علينا – بصوت حزين – نفسي أشوفك ولا ده كمان ممنوع.. لما تخرجي زوغي منهم عشر دقايق بس أشوفك وما يحسوش بغيابك.

((أخرج!!! البنت في قريتنا لا تخرج إلا لمدرسة أو لطبيب حــين يشتد بها المرض أو لعزاء أو لعيادة مريض.. برفقة جيش مــن الرفيقات وبعد إذن وتوسلات. لا نزهة أو زيارة لصديقة أو قريبة.

يوم واحد يمكن أن تخرجه دون إذن... يوم وفاتها.

غير مسموح لها بالحديث مع شاب قريب أو جار إلا وألف أذن تنصت وألف فم يسكتها.

الحياة مملة راكدة الغد لا يأتي بجديد ولا بفرحة.

فــي الــتلفاز نري حيوات مختلفة وفتيات مختلفات يفكرن بشكل مختلف.. يخرجن.. يلبسن.. يتعلمن ويدخلن الجامعة.

يعشقن..يخرجن مع من يعشقن.. يتزوجن ممن يعشقن.

الحــياة تصــطبغ لديهن بكل الألوان المبهجة.. حياتنا قاتمة بلــون أرديتنا رمادية تميل للسواد.. أو..... كل الخطوط الحمراء وإشارات المرور نتوقف أمامها.. هناك عالم آخر وحيوات أخري بودي لو أعيشها.. أكتشفها.. أعشق شابا ويعشقني.. أتزوجه.. آه أتزوجه.. لماذا لا؟!

ليست كل الحيوات تستحق أن نحياها.. حياتنا تسبق الموت درجات حينا وتتساوي معه حينا)).

[٤٠]

"لماذا لا تلمين أحلامك المبعثرة في الطرقات.. أقدام المارة ستدهسها؟!"

((الجبل - أراه من البر الشرقي - يبدو موحشا.. غارقا في الظـــلام.. يحتضـــن قريتنا - من جهتها الغربية - بقسوة.. النيل جمـــيل هـــادئ.. النـــيل يحتضننا ويحتضن كل العشاق.. يحفظ أسرارهم ولا يبوح - أمل لم تعشقني بعد - هل نظرت في مياهك وحدثتك أمل عن شعورها نحوي؟ كتوم أنت يا نيل.

..............................أمعائـــي تكاد تتمزق.. قطط تموء وتتشاجر داخل أحشائي وهي تحكي وتسرد:

- منصور أنا نفسي..........

((متـــي تنتهي من حديثك؟ كنا نحضر اجتماعا نقابيا انتهي وانســـحب الـــزملاء متعمدين.. قالت سأتأخر. بصعوبة وافقت أن نجلس قليلا..أحبك والله.. أحبك.. فقط لو تصمتين وتشعرين بي؟ لمتى أقاوم؟))

نظرت خلفي فجأة "ما هذا؟!"جريت وراء كائن وهمي وهي تتبعني بنظراتها الفزعة المتسائلة.

مـــا أن وصلت إلي ضفة النيل - في ركن متوارٍ مظلم - علي حافة مائه أطلقت لأمعائي العنان.

عدت وأنا أشعر بالارتياح.. قلت:

- هه يا أمل.. تكلمي.. كلي آذان صاغية.

ضحكت وبدت علي وجهها إمارات خباثة.. ((هي ذكية جدا.. ربما أدركت ما حدث.. أمعائي تتقلب عند غدائي بالخارج.. ليس هناك أفضل ولا أنظف من طعام أمي حتى شقيقتيَّ طاهرة وصفاء لا يطبخان بنكهة طبخ أمي)).

اقتربت منها.. نظرت لوجهها الذي طالته بعض البثور ونثرت بعض المساحيق القليلة عليه. نظرت في عينيها.. تأملتهما..ارتبكت رغم ثباتها

((لا تحدق في وجهي وعينيَّ هكذا.. لا تعلمني التحديق في أعين الرجال.. وددت لو يحتضن كفي الآن.. لن أتجرأ و أقول له........ أو أجذب يده....... لماذا لا.. حتما سيسعده؟ لا.. لا يمكن طبعا)).

أسمعتها بعضا من أشعار عمي وبعض الأشعار التي أحفظها.. قاطعتني لتسألني عمن كتب هذه الأشعار.. قلت لها:

- أنا طبعا.. الشعر في عائلتنا متوارث بالفطرة.. عمي لولا كسرة ظهره لكان أكبر شاعر عامية.. عجزه ورقدته جعلته أكثر شاعرية رغم عزوفه عن الناس والمجتمعات.

((ربما سمعت بعضا منها في التلفاز أو كانت مقررة علينا في الجامعة.. لم أرد إحراجه..الكذب متاح ومتعارف عليه في هذه اللقاءات.. قال إحدي القصائد عن الجبل.. يجسده امرأة يذوب عشقا فيها.. أعجبتني القصيدة.. كنت صغيرة أقف في الشرفة أتأمل تلك الجبال كلما نظرت شرقا وغربا وأتساءل هل هناك حياة وعالم آخر خلف تلك الجبال؟ كانت تثيرني بشموخها وغموضها.. تأخذني أحلام اليقظة لأتخيل نفسي بطلة في مغامرة خلف الجبل

حـــيث الحـــيوات والعوالم الأخرى حتى جاءني منصور من ذلك العالم الساحر الغامض.. لم أر شخصا يعشق الجبل مثل منصور.. أشـــك أن تكـــون القصيدة قصيدته.. لا بأس لا تفسدي هذا اللقاء لكذباته الصغيرة.. شبعتِ كذبا ممن سبقوه.. كذبات كبيرة ومؤلمة علـّمـــت فـــي القلب.. تجرعي هذه الكذبة أيضا)). استأنف إلقاء الأشـــعار..اقترب مني بشفتيه.. تمنعت.. أمسكت بحقيبتي تمهيدا للقيام.أمسك يدي واحتضنها.

- إتأخرت يا منصور.

- انتظري يا أمل.

((ليتنـــي أكون له قصيدة رومانسية ينظم أبياتها ونكون معا قصة جميلة.

يقولون "تحلمين كثيرا.. لماذا لا تلمين أحلامك المبعثرة في الطرقات.. أقدام المارة ستدهسها"

أنـــا التـــي أراهن دائما علي الفارس الخاسر الذي لا يصل لـــنهاية السباق.. من أجله أخوض المعارك وأنتظر أن يرفع سيفه أجده أفضل من يفر من النزال.. فارسا من ورق.. عقب كل سباق يعـــود قلبـــي بانكسار جديد يخط جرحا نازفا يندمل بعد سنوات.. تتكمش جدران القلب لرأب الجرح تاركا ندبة.. يتقزم القلب ويتقزم ويصبح مثل كرة التنس المبرقشة يضيق ويضيق.. وسحب عيوني يأتيها السيل..

بالقلب لم يعد متسعا للجروح يا منصور.أعلم أنك مختلف.. سأنســـي معك كل الجراء التي كانت تلعق في أذني وتداعب قلبي مخلفة وراءها الألم)).

حدق في وجهي وعينيً قائلا:

- لنتزوج يا أمل.. تأملت وجهه وعينيه للحظات.

((لا تحـدق فـي عينـيَّ هكذا بدت نظراتك منكسرة منذ وفاة المـرحوم فـي الحبس واختفت نظراتك المحدقة... كانت تؤلمني تلك النظراتُ المنكسرة في عينيك يا منصور.. سأعتاد التحديق في عينيك.

أعلـم أنك تحتاج لكلماتي المشجعة.. أبتلع كل الكلمات التي قد تؤلمك بينما يؤرقني ما يشاع عن علاقاتك النسائية.. أتمني أن أحادثك بكل لغات الحب لكن الكلمات تسقط من فمي وتأتي باردة وحـيادية.. ربما لأنك فشلت في دخول قلبي.. لا أعلم لماذا؟ هل لأنـك لم تجد العزف علي أوتار قلبي وتعرف لغته ومفرداته؟ أم لكونك لا تجيد سوي لغة الجسد؟ أم أن باب القلب صدئ.

حتـي الآن لم أحبك حقا يا منصور.. ليكن سأغمض عين قلبي وأتزوجك من وراء قلبي)).

[٤١]

لم يتركوا قطعة سلاح إلا حملوها ولا ورقة
إلا قرأوها ولا حلة طبيخ إلا فتحوها.

جـــاءت عربات حملتني وحملت كل شباب ورجال عائلتنا بملابســـنا أو ببعض ملابسنا وآثار النوم لم تفارق وجوهنا بعد.. فتشوا الدور جيدا لم يتركوا قطعة سلاح إلا حملوها ولا ورقة إلا قرأوها ولا حلة طبيخ إلا فتحوها.. الجبل صعدوه و فتشوا كهوفه ومخابئه وتحت أحجاره أيضا.

ذهـــبوا للـــزرع فتشـــوا تحـــت النخـــيل والأشجار وداخل الحظائـــر.. قلـــبوا الأســـرة الجـــريد والفـــرش المعدة للنوم في الـــزروع..اقـــتلعوا المـــزروعات المخدرة القليلة التي يستخدمها أصحابها للتعاطي الشخصي.

قبل أن تتوسط الشمس السماء كان شباب ورجال قريتنا وأقاربنا ســـاكني القري والمدن القريبة والبعيدة.. يحملون عصي – ويخفون ما سواها – يقفون بالخارج يتحسسون جيوبهم كل حين وآخر.

يحجبون الرؤية في الشارع المتسع الذي ضاق بالقادمين.. كـــل حـــين تتوقف سيارة في الشارع الخلفي لتلقي فوجا – هكذا أخبروا الكبير – حتى ضاق الشارع بهم.

حين جاء الكبير.. نظر ورجاله من الشرفات والنوافذ.. رأوا

جمـــوعا لا قبل لهم بها وإنهم ليستدعوا قوات إضافية سيحتاجون إلي ساعات وساعات ربما تخرج الأمور عن السيطرة خلالها.

اضـــطروا إلـــي صرف المحتجزين وإعادتهم بسيارات من حيث جاءت بهم إلا أنا.

((قـــال الكبيـــر "منصور صاحبنا حيقعد معانا شوية".. ابن الـــ... يوقع بيني وبين أهلي الذين ينظرون إليَّ بريبة!)).

اكتفوا باستدعاء واحد أو اثنين من العائلة يوميا للتحقيق.

لم تفلح جهود المعمل الكيميائي ولا التحريات ولا التحقيقات في معرفة أسباب الحريق الذي قيد ضد مجهول.

مـــنذ ذلك الحين ظهرت في القرية وجوه جديدة لم نعتدها. مجـــذوب ممـــزقة ملابســـه ومتسول مقطوع الساق وأرملة تبيع الخضـــار تـــنفق علي أيتام وامرأة تفك السحر والعمل والمربوط وأخـــري تشـــفي الحيوانات (المعضومة) وتنتزع العظم من أفواه الحيوانات أخضر بقشه. كلهم سكنوا القرية وانخرطوا وسط أهلها.

مـــنذ ذلك الحين أيضا لا يفتح أنسي من القرية – قريب أو بعـــيد – فمه معي.. وما إن أنضم لمتحدثين حتى يقطعوا الحديث ويتحدثون في شئون أخري لا علاقة لها بالكبير والحادث.

[٤٢]

((أرســم كــل السيناريوهات المحتملة للقاء الأول..
أشدها إثارة قبلة بل عدة قبلات فـي شفتـيَّ بينما تتساقط
دموعي لأعلن له حبي..أحبك والله لكن......))

قال إنه بالأمس حلم بي.. يقول إنه في نومه يحلم بي.. في يقظته يحلم بي.

- بجد يا خالد.

- بجد والله مش بأكذب. سألته أن يقصص حلمه.

((كــنتِ معي علي البحر.. شمالا حيث يتلاقى النيل القادم من قريتكم والبحر الساكن بجوار قريتنا.. هل لاحظت حبيبتي أن النـيل يجمعــنا حـيث منبعه ومصبه.. ضحكتي حبيبتي.. كنتِ ترتعدين من البرد ونحن علي البحر مع نسمات الفجر البارد ننتظر شروق الشمس.. قلت إنك كجنوبية لا تحبين البرد.. لدهشتي قمت تــدورين حولي تاركة كرسيك فارغا لعل بعض الدفـء ينبعث في جســدك.. ألمح بخباثة إنكِ ستحصلين علي الدفء في أحضاني.. تــدورين وتدورين.. بشفتيَّ أحادثك وعيناي تدوران معك.. هكذا حتى شروق الشمس.

ســألتك عشــرات المرات هل تشعرين أنك سعيدة معي.. تهزين رأسك وتبتسمين.قلتِ إنك في غاية السعادة حين ألححت)).

- وإنتِ حلمتي بيه؟
- الحلم القديم مافيش غيره.

((خجلــت أن أقول له حلمي.. رأيتني في ساحة واسعة في القــرية أغنــي ويلــتف الناس حولي - كنت لست نائمة ولم أكن متيقظة - أغني واتجه ببصري ناحيته فيحسده الرجال.. هو يستمع ويصفق لي.. يحضنني بنظراته.. أغني ويصفق.. يصفق.. يصفق حتى تيقظت.

نعيق البوم في أذنيَّ يخبرني أنه ربما - هو- أيضا يغني.. عصفورة طيبة ساذجة أنا وهو ربما كان طائرا محترفا يجتذبني بغــنائه.. يلقــي إلــيَّ بالحَــب والحُب فأقع في الشرك.. لا خالد يختلف.. كل الرجال لا يختلفون)).

- خايفــة يــا خالــد تكون بتغني عليّ؟!. اعترض وأقسم بأغلظ الأيمان أنه هكذا.. صوته هكذا يخرج بريئا واضحا صادقا دون غناءَ.. بلا موسيقي مصاحبة ولا مؤثرات صوتية.
- صدقيني حلمت بيكِ.
- مصدقاك...............
- حأموت وأشوفك يا حبيبتي.
- بعد الشر عليك يا..... يا خالد.
- هه.. قوليها.
-........................ (صمت).
- كنتــي حتقولي حبيبي.. خليها تخرج من قلبك ما تحوشيهاش يا حبيبتي.

.... ((الجبل يا خالد.. الجبل يضيق الحصار علينا)).

- ط.. طب.. قولي اسمك أ أ أنا حاخمن.. فاطمة.. هند.. سعاد؟ ليلي هه؟
- مابترديش ليه؟ آه عرفت اسمك (حاسميك القمر).
- (ضحكت) حتغني عليَّ.
- أبـدا يا حبيبتي. يرق صوته وهو ينطقها فيدق قلبي بعنف. قال انــه يدللني بحبيبتي لا يعلم كيف تتسلل إلي لسانه عفويا دون تعمد ودون أن يملك ردها.

وأنا أناديه باسمه سريعا دائما.. لخجلي دوما لا تبين مخارج الحروف.

- ممكن تحبني وإنت لا شوفتني ولا شوفتك؟
- (يـــا قـــوم أذني لبعض الحي عاشقة / والأذن تعشق قبل العين أحيانا / قالوا بمن لا تري تهذي فقلت لهم / الأذن كالعين توفي القلب ما كانا)[١٨].
- الله يا خالد..مين اللي قال الشعر ده؟
- ده شِـــعري.. كفاياكِ لوع بقي لا عارف اسمك ولا تليفونك ولا قادر أشوفك.. ارحميني يا........ ((يختنق صوته)).
- يا خرابي.. معقولة أحبك الحب ده وأكون السبب في دموعك؟!
-..................... ((صمت.. حتما تخنقه دموعه)).
- أنــا حامــوت وأشــوفك يــا خالد.. والله أكتر منك بس...... ((تخنقني دموعي)).
- ((تمالك نفسه بسرعة أدهشتني)) منتظرة إيه يا.........
-((لم استطع تمالك نفسي مثله))........... ((بعد جهد)) حنان.
- حــنان........اااااااااالـلـــــه.. الله مــش مصدق أخيرا قلتي

اسمك.. هه حأشوفك إمتي يا حنان؟

((أرســم كــل السيناريوهات المحتملة للقاء الأول.. أشدها إثــارة قــبلة بل عدة قبلات في شفتيّ – فجأة – أقف في ذهول.. تتساقطُ دموعي لأعلن له حبي.. أحبك والله لكن......

أعتقد أنه سيحاول إرضائي لن يقدم علي تقبيلي خشية فقدي أو إغضــابي.. أشعر به وأعرف كيف يفكر.. أعرفه قبل الزمان بزمان.. يقول ربما كنا عاشقين منذ الفراعين فرقنا الكهنة بكيدهم.. ضــللنا عــنا وظلت روحانا تهيم في ردهات المعابد.. في جوف المقابر.. في الصحراوات.. تبحث وتبحث حتى اهتدينا.

مر ما يقارب الشهر ولم أرفع الهاتف لأشاكس أحدا. أو أهاتف أحــدا.. فقدت ولعي بالشباب عداه.. هناك فرق شاسع بينهم – أولاد قــرانا – وبينه – خالد ابن القرية الشمالي– هو يجيد الكلام..يغازلني شــعرا.. يدللنــي كثيــرا.. يمازحنــي..لا ينقطع ضحكي معه.. هم مــتجهمون.. لا ينتقون الكلمات.. يقذفونها لا يعلمون تصطدم بمن.. الجبل طبع ملامحه علي وجوههم وكلامهم وطباعهم.

لا أحــد منهم يحبني شعرا ويكتبني بهذه الكلمات الجميلة.. هــو يعشقني وأنا أذوب عشقا فيه..أموت وأراه يا رب.. لكن لو رآني الجبل أو رآني أحدهم.....؟)).

– هه يا حنان.. النهارده إنتي مش زي عادتك؟

– الجبل يا خالد.

–............. الجبل؟ مالنا والجبل يا نانا؟!

– نانا!!!!!!!!!!! (ضحكت).

((الجبل يضيق الحصار علينا..لا مهرب.. لا مفر.. الجبل

يجـثم علي صدورنا يا خالد.. يرقد ليلا كجثة مارد ضخم يرمقنا بنظـراته المخيفة ندخل الدور ويغلقون علينا الأبواب.. من تتمرد "انظـرن للجـبل مخيف ويخرج منه عفريت يلتهم البنات اللاتي يلعبن أو يجلسن خارج الدور ليلا" نصرخ فارين للدار.. في النهار يعكـس صـهده يبعثره علينا نارا تلسعنا وتلفح وجوهنا. أو يبعث ريحه المحملة بالرمال تصفع وجوهنا وطعامنا وفرشنا.

يخفي كنوزه ويشهر ذئابه ومطاريده وعقاربه.. لماذا يجلونه كل هذا الإجلال ويقدسونه هكذا قداسة ويحيطونه بهالة من الخوف والحكايـات والأسـاطير ويعلمون أنه كائن بلا قلب يكسر ظهور الرجال ويقتل الحياة فيهم يجعلهم يعيشون أحياءً أموات.. لو يملك الجبل فما لوشي بنا جميعا وفضحنا)).

- طب ياخالد.. بكرة العصر نازلين البندر للدكتور مع إخواتي.. حأحـاول.. أقـول لإخواتي الولاد أزور المقام في السوق أنا وأختي.. أقول لأختي حأشتري حاجة ((وهي مريضة لن تقول أذهب معك عند رجوعي آتي لها بمشروب أو (آيس))).. عشر دقايق بس يا خالد.
- أوكي أنا علي أحر من الجمر.
- عشر دقايق بس.
- حألبس من دلوقتي واستناكِ يا حنان.
- هه هه هه هه.

[٤٣]

- البنات يبدو خجلهن علي خدودهن المحمرة..أنت متفردة.. وحدك يبدو خجلك في إرتعاشة عينيك.

كان يجلسها بجواره ((أشعر بنيران في صدري))

- اختر بيننا - قلت بحدة - إما أنا وإما هي يا منصور.

- لا يمكنني الاستغناء عنها. اتجهت إلي الباب أتنسم بعض الهواء.

- أحمر الشفاه الذي تضعينه يا أمل.........

أهرش أنفي بأطراف أصابعي ((يعرف تماما كيف يتلاشي غضبي بذكائه)).

- أنا أكلمك عنها.

- لأجلي يا أمل حاولي تقبلها.((يلصق ساقه بساقي.. أباعد ساقي ونظرات المجتمعين ترمقنا)).

- أنت جميلة في ردائك هذا.. تزدادين فيه جمالا.

-....................................... ((أطرق في خجل بينما ترتعش أهدابي)).

- البنات يبدو خجلهن علي خدودهن المحمرة..أنت متفردة.. وحدك يبدو خجلك في ارتعاشة عينيك.. أنت دائما تختلفين عن كل البنات.

((يا لسذاجتي.. تنبهت أنه عرف تماما كيف يمتص غضبي بلباقته)).

- منصور إما أن تتركها هي أو تتركني أنا.

- تفكيرك أكبر من هذا بكثير....... هل رائحتها..؟! قاطعته:

- رائحتها... تذكرني بعبق أبي الراحل.. فقط بعدما أنفاسها تفارق الحجرة.

- قال سأجري بعض الفحوصات لقلبي ربما أتعبه حبك. يحدق في عينيَّ.. أرمقه بنظرة يدرك مغزاها ((هي السبب)).

- تعلمين أنني بعد وفاة زوج عمتي لا أهتم بطعامي.. أخرج دون إفطار وأنسى أن أتغذي.

-............((يخجل أن يقول منذ تجربة السجن المريرة)).

- سأبتعد عنها لأجلك يا أمل.. قرار نهائي.

* * * *

يقولون أنه قد عاد إليها... كانت معه.. أطرق بوجهه حين رآني أنظر إليها.

- هل ستنتظرها حتى تقتلك يا منصور.

- حاولت لم أستطع.. ليتها تنتهي تلك الحساسية الزائدة منها.

- وأنا أيضا لا أستطيع يا منصور. قاطعني:

- ما رأيك في نزهة في إحدى الجزر؟

-................................ ((سـينزل للماء وأدور معه علـــي الحافــة ببنطال - طبعا - لا أشمر أطرافه.. هو حتما سيسألني ألا ادع أطرافه تتسخ ببراءة..أعلم أنه يتحين الفرص ليري ساقيَّ.. كثيرا ما أراه يحتويني ويحتوي رأسي المستلقي علي صدره بحنان.. وحدنا)).

- تترددين دلالا أم خجلا.(كل السيناريوهات التي يضعها لنزهاتنا – بخباثــته – دائمــا تبوء بالفشل وضع سيناريو لنا لعيادة مريضة زميلة جلس ينتظرني علي الباب ساعة.. ذهبت في اليوم التالي. يا لغبائي يعرف كيف يحتوي الموقف ويحتوي حدتي كعادته)

- لا يمكنني أن أكسبك رجلا وأخسر صحتي يا منصور.. لابد من حل.

مضـــيت وأكوام من الشطة تحشو أنفي.. أدعك أرنبتها بلا جـــدوى.. صدري يكاد يختنق.. وهي معه – في فمه.. يحتضنها بإصبعيه – تطاردني بأنفاسها.

[٤٤]

((أبحث عنك منذ زمن.. منذ (خلق الله الأرواح وأدارها حــول العــرش قبل خلق الأجساد بألفي عام).. روحي تآلفت مع روحك حينها وظلت تنتظرك آلاف السنين)).

- آلو يا خالد.

-................ (يضع المسماع بعنف مرتين متتاليتين).

- خالد.. أرجوك تالت مرة أكلمك.

-.................................

- سامحني..علشان خاطري.. ظروفي أقوى مني.

- ظروف إيه اللي تخليكِ تخدعي إنسان بيحبك ومتشوق يشوفك.. نايم صاحي يحلم باللحظة اللي يشوفك فيها.

-.................................

- (لقــد أعــرتك أذنـــا غير صاغيةٍ / ورُبَّ منصتٍ والقلب في صمم)[١٩].

- يعني إيه يا خالد.. مش فاهمة حاجة؟!

- الليل كله سهرت أكتب في البيتين دول بدموعي وإحباطي بأملي إنـــي اشوفك وألمي منك.. معناهم إن الظاهر بتتسلي بيه زي الشباب اللي بتتصلي بيهم.

- أحلفلك بإيه من يوم ما حبيتك ما رنيت التلفون علي حد.. راجل ولا مــرة.. مــن يــوم...... (تخنقنـــي دموعي) إنــــ...... إنــت......... كفتنـــي عــن الدنيا يا حبيبي.((أبحث عنك منذ زمَــن.. (منذ خلق الله الأرواح وأدارها حول العرش قبل خلق الأجســاد بألفي عام).. روحي تآلفت مع روحك حينها وظلت تنتظــرك آلاف الســنين.. روحـــي كانت تبحث عنك في كل الوجــوه..فـــي كل الآذان.. في كل البلاد.. حين عثرت علي ضالتها أخيرا استراحت وهدأت وكفت عن البحث)).

- إيه إنتِ قلتي إيه؟

-.......................

- قلتي إيه؟

- ماقلتش.

- قلتِ حبيبي؟!

-.....................((زلة لسان خرجت عفوا))

- طب مش حأسامحك إلا لما تقوليها تاني.

-.................حـــــــــــ...........

- هه؟

- حبــــ..... حبيبي.

-.................(يتنهد) إنت اللي حبيبتي وروحي.

- خلاص سامحتني ولا.................... أبوس رأسك.

- ((بخــباثة)) لمـــا تقربي بشفايفك تبوسي رأسي بسرعة حأرفع وشي أقابلك بشفايفي.

-..........((أتنحنح اعتراضا وأواري ضحكة كادت تفلت مني)).

- بأحـــبك.. بأحـــبك.. بأحبك.. بأحبك.. بــــــــــ....... (((بعد اجتماعـــنا الأول قَبل القبَل.. قبل انشقاق الأرض وارتفاع القمم في السماء.. وخروج الشمس من سريرها البدائي ووقوفها في شرفة الأكوان وتبدي البلاد شاهدة علي وجعي ولقاءنا)))[٢٠]

((أغلــق الهاتف أنا الجنوبية مع كلمات الشمالي التي تزداد جرأة والقلب الذي يورق ويزهر ويتفتح لأول مرة.

أســتعيد كلماته كلمة.. كلمة.. حتى صمته وصمتي.. أرسم أحلامـــا بثياب بيضاء في دار جميلة حيث نسمات البحر شمالا أو حـــيث تســـكن أرواح الأجـــداد جنوبا.. لا يهم. كل ما يهمني أن تجمعنا حياة واحدة هو الشمالي الجرئ وأنا الجنوبية الخجول)).

[٤٥]

هو الرجل الحلم.. المستحيل.. هذا هو اسمه.

- كيف سمحت لنفسك أن تسرق مفكرتي يا منصور؟
- لم أسرقها.. أخوك قذف الإطار بالكرة.. سقطت.. حب الاستطلاع دفعني لفتحها- قرأ- (حفر أصابعي بلحم [كتفك]/ في ساعات الوجع الحلو) ما معناها يا بنت الناس والملحوظة لابد تأكدت بنفسك ((تري ماذا حدث في الأسطر الفارغة يابنت الأصول.. خير وسيلة للدفاع هي الهجوم)).
- كيف تخترق خصوصياتي هكذا وتقرأ خواطري دون إذن مني؟!
- ليست خواطر.. ما قرأته مذكراتك يا أبلة.

((تمنعت وأفهمتني أنها رابعة العدوية.. حرمتني حتى من قبلة.. تراه من يكون رجلها؟

هل هو وسيم.. متحدث لبق؟ كيف استطاع التسلل لقلبها وعقلها لتتحدث عنه بكل هذا الحب؟

أستعرض كل أقاربها.. جيرانها.. زملائنا..معارفها.. من هو؟ الشك يقتلني.

ما الذي أغراها فيه كرجل وجعلها تمنحه بعد تمنع؟

تركت الصفحة فارغة دون تفاصيل.. طبعا خجلت من كتابتها.. بيت الشعر به كل التفاصيل.. التفاصيل مدونة في

ذاكرتها جيدا.. ليس هناك داعٍ لكتابتها وفضحها.. أحترق لمعرفة تفاصيل ما حدث)).

- بيت شعر جميل أعجبني وكتبته في المفكرة.. هي حدوتة؟!

((ما حدث في ذاكرتي يمر بمخيلتي كلمة.. كلمة... لمسة.. لمسة... لحظة بلحظة.

كـل مافـي المذكرة يمكن التنصل منه - لو وقعت في يد متطفل - إلا الوصف التفصيلي لأول لحظات حميمية في حياتي لا يمكن التنصل منه)).

- مذكراتك يا أمل أنا واثق؟

- منصور الشك دخل قلبك..إنت في طريق وأنا في طريق.

- اعترفي يا أمل.

((أمسكت بالمفكرة أبغي تمزيقها.. احتفظ بها في يده)).

((تـرتدي خاتما من فضة.. حتما كان هديته.. أهديتها آخر يفوقه جمالا قبل الخطبة.. تعللت باتساع حلقته ورقة إصبعها)).

((كـان الـزجاج متناثرا في الأرض فتات.. انعكس وجهه علـي أكبـر كسرة والمفكرة في يده يقرأها.. تأملت الكسرة كان وجهـه مشوها قبيحا بأسنان ضخمة بينما استطالت أصابعه وهو يقلب الأوراق.. كانت كسرة الزجاج تقطع الطريق إليه.. زحتها.. أدمـت إصـبعي وهو يسألني عمن يكون فارسي!!!! فارسي كان حلما وصحوت.. كان اقتطاف المستحيل)).

- اسمه يا أمل؟

-......... ((هو الرجل الحلم.. المستحيل.. هذا هو اسمه)).

- من حقي معرفة اسمه.

- لا.. ليس من حقك.. أنت كائن هش تسكن بيتا من زجاج لماذا تقذفنـــي أنـــا وإخوتك بحصاك؟!.. ما حدث لو عرفه آخرون ستفقدني كزميلة.. سأكرهك طول العمر.. فقدتني كزوجة.. لا تفقدنـــي كـــزميلة.. اترك بقايا من احترام بيننا.((يبدو كمن لا يسمعني.. يسمع نفسه فقط.. مازال يفر المذكرات ويقرأ)).

نظر إلي المذكرات مرة أخري مررها سريعا بين يديه وأنا أحاول جذبها.

- أمـــل.. لا تجعلي كل رجال الكون متهمين.. من هو؟! ((الشك سيقتلني)).

((مـــا باله يسألني من يكون؟! هو ذكري جميلة ومضت.. لماذا أوقظ الأيام الجميلة الناعسة في ذاكرته من رقادها؟ لماذا أقتل اللحظات الجميلة التي تسكننا وأغلقنا ذاكرتنا عليها؟ لماذا؟!!!! ماذا يفيده لو عرف من هو؟!!!!!!))

ترك المفكرة في النهاية. قال بتهكم (((دائما لا أجيد الجمع.. كثيرا ما يطرح مني.. وفي النهاية أرضخ للقسمة))).

- الآن ســـيطرح منـــي بصـــدق.((مهما كانت خطاياه والشائعات المـــثارة حوله وعنه.. هو لن يقبل فتاة تعري له ماضيها قبل الـــزواج.. دائمـــا الشـــك ســـيكون بينـــنا.. لا جـــدوى مـــن الاستمرار)).يقرأ بصوت عال:

(((وهو يمعن في الهروب.. يدبر لإدمانه انسحابا بطيئا من دمـــي..يـــباعد مرات اللقا))). لماذا يهرب ويحاول الرحيل ما دام يحبك؟! ردي يا أمل لتطفئي ناري؟

-......................................

- اسمه يا أمل أرجوكِ.

-.........((لحظات صعبة ولابد من الحسم)) منصور دبلتك.

- كيف طاوعك قلبك؟!

- قرار نهائي يا منصور.

((ربما أكون تعلقت بمنصور.. بإهتمامه.. إلحاحه.. أزهاره التي يهدنيها.. هواتفه صباحا ومساءً.. بكلمة أحبك يقولها مرارا.. حتما سأنساه.. سيمر زمن وبعدها أنساه.

كثـــرة الصـــدمات علمتنـــي ألا امشي بقلبي عاريا مكشوفا للبشر.. بل أخبئه في أعمق وأبعد جزء بداخلي.. عقلي أتركه في الـــواجهة.. حـــتما ســـيمتص الصدمة سريعا.. أو لن يتلقاها لأنه بالقطع يفكر جيدا.. أما قلبي الرقيق يكفيه ما تلقي من صدمات.

أمام بيت الزوجية سندخل ثلاثتنا أنا وهو والشك)).

- منصـــور إنت في طريق وأنا في طريق.. قرار نهائي. أخذت أمزق الأوراق.

((أحمـــل ســـكيناً وأقشّـــر الورق... أقشر... ينزل الزمن. تتدحـــرج الوجـــوه التـــي كنت أخبئها... ماعاد قلبي يتسع لأحد. خدعني الورد والأصدقاء والجبل و.....))[٢١].

[٤٦]

(((يــا ليتنـــي مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا).. يا لسوء ما سيبشرون به أهلي.. يا لعاري الذي سأحمله أينما أحل))

- النيل جميل.((النيل يجمعنا حيث مبتداه ومنتهاه.. نتركه خلفنا.. يــبدو منبهرا بالمقابر الفرعونية - التي يراها للمرة الأولي - ومحمر الوجه من قسوة الطقس.. قال إنه في حلمه جعلني أري جمـــال الحياة والبحر والأحياء شمالا بينما أنا في الواقع جعلته يري المقابر والأموات جنوبا - هو المكان الوحيد الآمن الذي لا يحتمل إن يتواجد فيه أخي أو أحد معارفي.. بعيدا عن النيل - أســأل عينــيه تطل منهما سعادة تشرق وتملأ وجهه نورا ووسامة رغم القلق البادي فيهما)).

أحكي وأحكي وأنا أتلفت حولي من عساه يعرفني؟ لم ألاحظ أنـــه يحـــدق في ملامحي.. تأمل مومياء إحدى الأميرات قال إنها تماثلنـــي حجمـــا حتـــى وجههـــا المرسوم بملامحه الحلوة وبشرته الســـمراء يشبهني.قال إنني أميرة من أميرات الفراعين وأنه تنازل عن عرشه في الشمال للاقتران بالأميرة الجنوبية منذ ألاف السنين.

يجفف عرقه ويمسح عن وجهه قسوة الشمس..

- الشمس حامية عليك.

يقول إن الشمس أكثر جمالا من القمر رغم أن القمر يسحب

البســاط منها.. ربما أن حرارتها وحدتها تمنعنا من الالتفات إلي جمالهــا و أنوثتها (أضحك) وفي السماء كثيرا ما يتواجد الشمس والقمر لكن لا أحد يلحظ القمر.. يبدو باهتا ميتا في وجود الشمس.

يقــول إن الــرجال دائمـــا يعشقون الأنثى الرقيقة الجميلة الباردة.. غير الحادة.. تماما مثل القمر رقيق وجميل وبارد.. وأنا حـــارة وحـــادة وجمـــيلة مثل الشمس تماما لذلك يحبني.......... وأنا.......... قلبي وعقلي معه وعيوني تتركه وترحل بعيدا تدور وتبحث في كل الوجوه أي وجه يعرفني؟

- بصي علي الشمس قبل الغروب بساعتين.. رائعة.. كلهم ظلموا الشمس وعشقوا القمر.. أنا الوحيد اللي عشقت الشمس.. ينظر لي ويضحك.. بخجل أطرق.

أخــذ يحكي ويحكي عن قصص الحب في عهد الفراعين لم يكتشف تأملي لملامحه.. فجأة أقاطعه وعيناي تمسحان الأرض.

- عينــيك حلوة يا خالد.((عيناه جميلتان لونهما مزيج من اللونين البنــي والأخضــر.. لــو وجــدت بملامحه شيئا جميلا آخر لاعترفت له)) تمتد يداه فجأة يريد احتضاني.. أذهلني الموقف ((تمالكــي نفســك يابــت)) تجاهلت يديه الممتدتين في خجل وخرجت من البهو الضيق المرسوم سقفه..

اكتشــفت أنه أخفي عني كثيرا من وحاشته.. كرشه.. أنفه كمــثال. بيــنما أخفيت عنه كثيرا من حلاوتي أنفي الصغير ودقة خصري كمثال.

أسرعت لأمشي غاضبة.. أدركني وأبدي اعتذاره.

يصـــارحني أنه أحبني وسيظل يحبني.. وإنني أستحق حب كل البشر لي..

- مـــش حتكرهيني أبدا يا حنان؟ ((لماذا يسأل هذا السؤال؟! طبعا سأظل أحبه.. كيف أكرهه وأنا أذوب عشقا.. اعتدته مرحا ما بالــه اليوم يبدو علي غير عادته؟ يتحدث بلهجة قلقة لا تروق لي:. ربما الهاتف يختلف عن اللقاء وجها لوجه)).

يحتضـــن يـــدي..فجـــأة... يبـــرز أربعة شباب من قرية الكسارة.. أعرف اثنين منهما.. حتما الأربعة يعرفونني.

((يـــا... يا فضيحتي.. لا أصدق هل كان فخا.. شركا وأنا بســذاجتي وقعـــت فيه؟! لا خالد لا................. كل الرجال كاذبون.. مخادعون إلا خالد..لا طبعا.

هـــل تراهن مع أصدقائه.. هل إتفق معهم وأنا التي أحببته بكـــل بكارة عواطفي ومشاعري؟ هل.....هل...... والله سأقع.. دوار.. دوار..كل الأشياء تدور.. كل الكلمات الحلوة وأبيات الشعر في عقلي تدور.. كل كلمة قالها.. كل ضحكة.. كل همسة همسها لـــي.. كـــل تنهيدة ولحظة صمت.. ياه هكذا الدنيا حقيرة والناس حقيـــرة! كيف أجاد التمثيل والكذب.. كيف لم يهتز.. لم يتلعثم..لم ترتعش كلماته.. لم أشعر بكذب مشاعره.. لم يتذكر كل اللحظات الحلوة التي جمعتنا.. كيف.. كيف؟!!!!!!!!!!!

- الأرض تدور والسماء والشمس.

- لا.. تماســكي.. لا تضـــعفي.. لا.تشـــهديهم لحظـــات ضعفك ولحظات انتصارهم.

- قلبي يبكي.

- تماسكي يا غبية.

- ينزف والله.

- حاولي يا صفاء.. سيمر الموقف لا تضعفي.. ابكي في البيت وانزفي كما تشائين.. أقبل يديكِ تماسكي.. يكفيكِ فضائح.
- هـل الرهان علي أشياء تستحق أم علي زجاجة مياه غازية أو حذاء قديم أو هدية حقيرة.. كل العالم حقير.
- اخرسـي وتماسـكي..لم تستمعي لي قط..تركتِ قلبك يقودك.. استمعي لي الآن.
- صـعب بـودي البكاء والصراخ حتى نهاية العالم.. لو تنشق الأرض وتبتلعني وتنتهي سيرتي وسيري واسمي ورسمي.. لو غـراب طائـر أو حدأة تخطفني وتشق بي السماء وتلقيني في صـحراء وحدي حيث لا مخلوق.. حيث لا أعرف أحدا ولا يعـرف قصـتي أحد.. أو تلقيني من شاهق تشج رأسي علي صـخرة بعـيدة و(تأكـل من رأسي الطير).. وليمة لعشرات الجـوارح حتى تتبعثر ملامحي في حواصلهم.. يا رب ذوبني قطـرات بخـار تتصاعد للسماء حيث ترسلني سحابة يمزقني الريح المهاجر في أبعد بقعة لا يطأها إنسي ولا جني أو تلقيني في النيل حيث تلتهمني تماسيح النيل و(شوارد أسماكه) فأتفتت مئات القطع في أحشائهم أو في قاع النيل أسكن أو(تنثرني زبدا فـوق شـاطئيه).. أو لتصـدمني سيارة مارقة فأتبعثر مئات الأشلاء حيث يختفي جسدي ويغيب اسمي.
- والله لو بكيتِ لـ..........
- يـا رب أخطـأت..ألهمني الثبات.. ارحمني وارحم زلتي.. لا تجعـل دموع قلبي تصل لعينيَّ.. ساندني فأنا أترنح لا سند لي سواك.. كلهم أعداء.. كلهم حتى خالد............. خالد يا رب معهـم.......... يا رب حتى خالد......... حتى خالد...... يا

رب أنـــا أحتـــرق..اصـــهرني قطعة شمع.. تذوب..تسيل فلا يقبضـها أحد.

- يلعـــنك ويلعن خالد! فكري كيف تخرجين من هذا المأزق بأقل الخسائر..غبية بدلا من تأمله بصي للورطة التي أنتِ فيها)).

- هما جم من ورايا.. صدقيني يا حنان.. ما ليش ذنب.. صدقيني يـــا حـــنانـــــ.....((كلماتـــه رصاصات تسكن قلبي.. مازلت تكـــذب.. ليـــتك لـــم تعتذر.. لا تسمعني صوتك..أكرهك و أكره نفسي وأكرههم وأكره كل الناس. لو بيدي بندقية لفرغت فيكِ وفيهم وفيَّ وفي المارة كل رصاصتها.. (أحببتك حبا / لو قـــدَّ تحـــتك كان أقـــلك /أو لو قـــدَّ فوقك كان أظلك)[٣٢] لكلماتك!!!! حبك قـــدَّ فيَّ فأحرقني وقتلني.. منك لله)).

- ما اسمهاش حنان.. دي صفاء أخت منصور من الفرس بحرنا بأربعين كيلو.. أولاد عم أبوها من عندنا م البلد.

- كل ده يطلع منك وإحنا فاكرينك ملاك.. إتفو.

- والله لو دري منصور أخوك يكتلك.

- صفاء.. صفاء. يعني حنان.... مش اسمك؟! ((ينظر بغضب)).

((تغضـــب لكذبي في الاسم.. (هي أسماء سميتموها) مالك تقـــف هكذا؟! تلضم الكلمات أغنية جديدة كاذبة.. كذبة جديدة من أكاذيبك.. كلماتك لم تعد تطربني.. فقدت مستمعتك الوحيدة.. كيف تبعثر أكاذيبك الحلوة هكذا تختلط بالحقائق المُرة وتذوب تحتاج إلى كيميائي لفصلهما.. بين كل كذبة وأخري تكذب كذبة ثالثة.. أعيد مكالماتـــك كلمة كلمة.. أين الصدق.. أين الكذب؟ كاذب.. كاذب.. كاذب.. والله كاذب.

- هاتـــي إيـــديك يـــا حنان.. قربيها.. إيدك تحت خدي دلوقتي.. ماتسحبيش إيدك يا حنان.. إيدك ناعمة ورقيقة زيك.. تسمحي

لي أبوسها.. إيدك بس مش حأطلع لفوق.. أقاطعه أنا بشقاوة:

- تسمحلي أنا أحط السماعة.. سامعة صوت.(أكذب).

- أنـــا عارف شقاوتك يا حنان.. أنا واخدك في حضني دلوقتي.. حاسة بحضني دافي.. إنتِ ناعمة ولذيذة في حضني و........

أقاطعه وأداري خجلي وابتسامة أظنه يراها عبر الهاتف:

- حأحط السماعة يا خالد.

-لا وحياة حبي يا حنان.

- حلفتني بأغلي حاجة عندي.

آه لـــو يستيقظ الجبل من سباته وتتحرك صخوره تحتضن البلاد والعباد..لا تترك رجلا ولا امرأة.. طفلا أو شيخا.. تفترش كل البيوت والساحات وتقتلع الأشجار والأزهار وأعشاش الطيور وحظائر المواشي.(لا تبقي ولا تذر))).

- بس لولا..... أمك الست الملاك وأبوك التايه عن العالم و.....

- مـــا فيش لولا.. إحنا نقول لمنصور أخوها وهو حر مع أخته.. لو سكتوا مش حأسكت.. والله ما أسكت..الساكت عن الحق شيطان.

- البنـــتة فجروا يعاكسوا الرجالة في التلفونات ويخرجوا معاهم.. القيامة حتقوم يا ولاد .

(((يـــا ليتنـــي مِــت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) كل الوجوه تفترســـني..ذئـــاب بأنـــياب مســـنونة وأفواه مفتوحة وألسنة حِداد سينهشـــون سيرتي..(يا لسوء ما سيبشرون به أهلي).. أمي وجوال الهموم الذي تحمله علي ظهرها.. منصور عصاها التي تتوكأ عليها وتهـــش بهـــا علينا.. يا لعاري الذي سأحمله أينما أحل.. يا لعينيك الحجـــريتين المفتوحتـــين علي إتساعهما..عيناك لا تطرفان..(قلبك

قُـــــد مـــن حجر.. انعكس الحجر علي عينيك.. سكنهما وعيون الحجر لا تطرف)[٢٣].. وار وجهك بعيدا.. اخفِ قبحك عني... تلك النظرة الكاسفة الكاذبة الحزينة التي ترميني بها.

يحـــاول الكلام لا تطاوعه الكلمات.. كاذب.. والله كاذب.. لـــو تكلمـــت وتجمد الماء ثلجا لن أصدقك.. لو صار النيل لبنا.. كاذب لن أصدقك.

هـــل تعشـــق الآيس الكريم مثلي.. هل تغتسل صيفا وشتاءً بالمـــاء الساخن مثلي.. هل...... وهل.......؟ هل الأشعار التي تلقيها في أذني و تأسر قلبي بها هي من إبداعك حقا.. سهرت الليل بطوله تكتبها لي وفيٌ؟ وهل.........؟ عشرات الأكاذيب.. أود لو أبكي وأملأ العالم صراخا..كاذب.. كاذب.. كاذب.

(ارمِ بعينيك سهاما / تسقط النشوي / علي شفتين يابستين من رشف الأكاذيب/ أنا ما عدت أعشقك / ولا قلبي سيصبح مقعدا – يوما – [لك])))[٢٤].

[٤٧]

احـــتوها برفق بين أمواجك.. ليس سواك يا نيل من يطهرنا..
اغسلها بمائك الثلج والبرد وأعدها لي نقية بريئة – كما كانت
– حاذر لا تدعها تغيب عن عينيك فهي صغيرة وساذجة.

...............احـــتويها بين ذراعيَّ بينما تستلقي رأسها علـــي كتفي.. تتسدل خيوطها الليلية علي صدري.. أجذب الجسد المـــتهدل دون مقاومـــة تذكر.. أمطرها بدموعي وأنا أحملها علي ذراعيَّ وأضمها لصدري بقوة.

((احـــتوها بـــرفق بـــين أمواجك.. ليس سواك يا نيل من يطهرنا.. اغسلها (بمائك الثلج والبرد) وأعدها لي نقية بريئة – كما كانت – حاذر لا تدعها تغيب عن عينيك فهي صغيرة وساذجة)).

غابت عن ناظريَّ رويدا رويدا مخلفة وراءها فقاعات هواء تجاورها بقع دماء.. تدحرجت السكين حتى لحقت بها.

علي البعد تقف نهي ابنتها تبكي.. بكاؤها يهز قلبي بعنف. أمـــد لهـــا يـــدي تقطـــع طاهـــرة طريقي فجأة تحول بيني وبين رضيعتها..ألم اقتلك؟! إذن كانت صفاء.. أقصد الست حنان عاشقة البحـــراوي.. أقصد حنان تليفون. فجأة أنقض عليها كأختها بيدي العاريتين.. تغوص خلف أختها.

تخذلنـــي قـــدماي.. علي ضفة النيل أتمدد تغرقني دموعي وبضع بقع دماء.

بعـــدها أنهض لغسيل خيوط الدم المتخثر من جلبابي.. نداء

غامض و شيء ما يجذبني نحو القاع للحاق بهما. يندفع الماء في حلقي.. أختنق.. أختنق.. أصحو فزعا.

((يـــا م هــل أقــتل أختيَّ؟ كنا معا.. نفرح معا.. نبكي معا.. يهـتمان لطعامـــي قبل طعامهما.. نومي وراحتي قبل راحتهما.. كل أشيائنا الحلوة كانت معا.. كيف يقابلني وجه أمي بدونهما.. ستسألني:

- هل أضعت أختيك يا منصور.. فرطت في الأمانة.؟
- يام (إني أري في المنام أني أذبحهما).
- لو ابن حرام يا منصور ستقتلهما.
- أنا ابن بطنك يا أمي.
- بيتك من زجاج يا منصور..لا تلقنا أنا وإخوتك بأحجار شكك.. أنت تغرق في الخطيئة.. احتفظ بحصاك لنفسك.
- حتى أنتِ يا أمل؟!))

((.............................لماذا أقضي عمري هكذا.. لم يبق من العمر مثلما مضي. أريد العيش مثلهن.. مثل كل الأمهات اللاتـــي يعشـــن في هدوء مع أولادهن.. سحابات وأمطار صيف ستنتهي.. ربما أسقطت سيولا وزعزعت أركان البيت لكنه باق.. بجهد وعناء سيعود كما كان وأحتوي أولادي في حضني.. بأبيهم أو بدونـــه.. الأيام والساعات والثواني تمر.. كل الناس والأشياء تتبدل حولي وأنا.......... كما أنا.. وحيدة..................أطنان الهموم علي ظهري تزداد.

حتما هو يختلف عن سابقيه.. الطلاسم التي قرأها والتعاويذ التي تلاها علي الماء تبدو مختلفة.. لم أرتبك أو أتلعثم حين سألني أحدهم.. قلت بجرأة "ماء" وأنا ألقي بالماء الكدر المطلسم في النيل.

زح النكد يا نيل.. خذه مع مياهك المبحرة شمالا بعيدا عنا. دارنـــا لم يدخلها الفرح منذ سنين سوي أيام خطب منصور زميلته وتركها.. هل يريدها ملاكا وهو الدائر مع البنات والحريم.. الكلب

لم يقل لماذا تركها. عرفت السر من جارة لها تتلصص دوما تحت السنوافذ.. أهلها يقولون للناس البت جامعية والواد دبلوم - كانت تعـرفه دبلـوم!!!- والبت تقول هو فلاح وأنا بندرية.. وهل أتاك بطينه فجأة؟! وهو صامت لا يتكلم)).

((يــام هــل تظنين عكارة الماء ستعيد والدي - المجذوب دومــاء الهــائم علي وجهه دوما - لعقله.. يعيش وليس بحي ولا يشعر بأحياء.. يسير علي قدميه أسابيع ولا نكل في البحث عنه.. لو مات لكفانا مشقته.. أستغفر الله العظيم.

ترشرشــين المــاء عند الجدران.. تغتالين صمت الجدران وحــزنها وغضــبها.. هــذه الجدران سمعت في أنصاف الليالي أحاديــث العشــق والغــرام بــين صــفاء وشباب قرية الكسارة والبحــراوي ومــا خفــي..........جــدران دار طاهرة شهدت الكثير..........آه لو تنطق.......... يام بطني تمتلئ بالغضب.. صــرت أتقــيأ الزاد.. الغضب المختمر في جوفي يحتل أحشائي يطرد ما عداه.. سأموت يام أو أحدث نفسي هائما في الشوارع أو تأذنين وتتركينني أقتلهما)).

أمــي تدعو الله ليل نهار " اللهم لا تفجعني في بناتي " أمي تطالبني أن أزوجهما.. أي زواج والسلام.. حين تكون كل واحدة فــي عصمة رجل لن تلوثهما رذاذ ألسنة الناس.. لا يهم عمله أو سنه أو حتى متزوج.. لا يهم رأيهما.

رجــل والســلام حتى يغلق كل حي فمه.. تحلفني بالله ألا أحرمها من بناتها..

(((كيف تروض تلك المرأة أحزانها / كأن الزمن لم يكسر صخوره علي ظهرها)))[٢٥].

- يام بناتك فضحونا.. إديني الإذن.

- روح يــا منصور قلبي وربي غضبانين عليك لو مسيت بناتي

بسوء.. جوزهم يا منصور.. آهي كلها موتة..يا رب لا تجعلني أعيش ميتة حية.. تكوي قلبي علي بناتي.

(يا أكرم من سُئل / لماذا أقفلت الأبواب؟ / تركت الدعوات علي عتباتك ملقاة) [٢٦].

((يا رب لماذا لا تأخذهما عندك وتريحني من عناء قتلهما؟! الصغري فضحتنا.. كم امرأة ترفع يدها وتجتهد في الدعاء عليها.. كم بيتا تسببت في هدمه و البحراوي الذي ضبطوها معه في الآثارات! كيف كذبت وأتقنت دور الهادئة المصلية العاقلة التي نحلف بحياتها ونلعن رعونة أختها؟!

أختها طاهرة ستفضحنا هي الأخري يوما ما سيجدون عندها رجلا.. يقفز من النافذة عند شعوره بهم.. سيطاردونه مثل كلاب الصيد لن يفلتوه.. لن تكذب وتقول لص حين يجدونه أحد رجال القرية المعروفين.

أمل تنصحني- كصديقة كما تقول-:

- لم تر إخوتك في أحضان رجال.. لم تتيقن من طاهرة وأنت علي بعد والشائعات التي تدور تمس كل مطلقة وكل فتاة أو امرأة غير متزوجة..هي ضحية كيف تقتل الضحية وتترك الجاني؟! وصفاء جني عليها الفراغ والملل وغلق الأبواب.. ليتك تدعيني في حالي يا أمل وكفاك فلسفة ويكفيك الخطأ مع صديقك.. لن أقول لك ذلك طبعا فأنا أريد فقط الحفاظ عليك كصديقة.. لو أقتل قلبي بيدي فلا يحن لأخت أو لحبيبة.. مازالت نظرتي في وجهك يرفرف لها قلبي.. مازالت بسمتك في وجهي تجعل همومي ترحل بعيدا.ما زلت حين تولين وجهك عني يولي الفرح بعيدا.

كل الوجوه ترميني بنظرات أعجز عن تفسيرها.. ربما احتقار.. ربما شفقة.. بعضها شماتة من رجال لم أقبل تزويجهم

لأخوتـــي ومـــن بـــنات العائلـــة اللاتي تركتهن وخطبت زميلتي البندرية..أيضا نظرات اتهام تقول في وقاحة أنني لم أحسن تربية أختيَّ ومراقبتهما)).

صوت يأتيني من ناحية الجبل.. أنظر إليه:

((أنـــت هكـــذا تقف.. ترى طاهرة وتسكت.. تسمع صفاء وتصـــمت.. وأظـــنك صـــديقي!! يـــا لقلبك الصخري وأحشائك الصـــخرية وعينيك الحجريتين!!! وكأنك لا تراهما.. وكأننا..... وأنـــت تقـــف هكذا....... بصخب ريحك وسكونك.. بوضوحك وغموضـــك. ولونك الذي يزداد قتامة كل يوم.. كنت أظنها لفحة الشـــمس وهجيرها.. الآن فقط أدركت أنه لهول ما تراه وقسوة ما تسمعه.. وعجزك عن البوح يا جبل.

يـــا رب أعلـــم أني عاصٍ لكن.... بكل عمل طيب عملته يـــوما.. أنـــا أعيش ميت.. إما أنْ تأخذهما عندك حيث لا عودة.. ينساهما الناس وينسون سيرتهما وفضائحهما أو أن تسترد ودائعك وتأخذني أنا عندك فلا أجد في العالم الآخر من يذكرني بهما)).

صـــوت لأقدام تقف علي الباب.. طرقات حادة.. من الذي يأتـــي بعـــد انتصـــاف الليل ويطرق الباب هكذا.. لابد أنه حدثت مصيبة حتما أبي!

- اللهـــم اجعلـــه خيـــر. قالتها أمي وهي تنتش طرحتها وتحاول وضـــعها علي رأسها كيفما أتفق وآثار النوم علي وجهها.خلفها بمســـافة كانـــت صـــفاء ولحقـــت بهـــا طاهـــرة ورضيعتها تحملهـــا..وهـــن بشعورهن وجلاليب نومهم.. زعقت انسحبت البنتان والرضيعة. خلف الباب وضعا أذنيهما بالطبع.

((إنتِ!!!!.جاءك الموت يا تارك الصلاة.. وجهك ينذرني أنه فضحني معك ابن الكلب)).

[٤٨]

عند مدخل المدينة المفضي لقراكم تمثال - من الفن الحديث - لفتاة وفتى يتبادلان قبلة.. هو قطعة حجر لا تعني لهم شيئا. لو أدركوا معناه حقا لرجموا الفتى والفتاة - التمثال- بالحجارة...

((تقفين تمسحين الأرض بنظراتك.. نظرات ذهول ودهشة تـرمينا بها.. نظرات خرساء تبكي بلا دمع ولا صوت.. ترميني بنظرات احتقار ينشق لها قلبي نصفين.. نصف يجلس قطا يموء- حيث أقدامك - يتمسح ويعتذر ربما تقبلين الصفح.. ونصف يتفطر دما لحزنك.

تعالـــي يـــا حنان أخبئك في قلبي بعيدا عن عيونهم.. عن ألســـنتهم.. ســـامحيني والله أحبك أكثر وأكثر.. تعالي لتذوبي في حضـــني وتختفـــي عن العالم.. أو لأحضر حصانا واختطفك من أمامهم نرمح بعيدا.. بعيدا حيث لا يجرحونك بكلماتهم.

ســـامحيني لـــم أعـــرف أننـــي خسرت نفسي سوى الآن.. خسرتك يا حنان وأنتِ نفسي.

(النوم / التَقَيتهُ../ لَمْ يُصافِحْ عَينَيّ،/ أو.. / يَسْمَحْ لِجَفنَيَّ أنْ يَتَبَادَلا قُبلَةً طَوِيلَة)[٢٧]

رفقـــا بـــي يا حنان.. أو صفاء.. لست صفاء أنتِ حنان التي أعرفها.. أعرفك يا حنان وأعرف أن أعذار العالم لو ذكرتها لن تقبليها.

جـــئت أعـــزب غـــريب بلا أهل ولا أقارب في هذه البلدة

المغلقــة علي أهلها.. كلب أجرب لا أجد أنثي ولا أشم ريحها.. لا ألــج بــيت أحــدهم إلا بعدما تتوارى جميع النسوة.. كل العيون تراقبني في توجس حذِر. إن صادفت نسوة يشحن بوجوههن بعيدا. إن ترنُ إحداهن ببصرها تزجرها الأخريات.

ســامحيني أعجبني الدور.. دور المخلص.. أن أكشف لهم البــنت التــي أقلقت نومهم وهددت منازلهم المتصدعة بالسقوط. (أحَاوِلُ النومَ الذي لا يُحَاوِلُني).

كــنت أسمع صوتا لامرأة يناديني في السحر.. أخرج إلي الشرفة والقمر مظلم كئيب.. أبحث.. أنادي والجبل يردد الصدي لا أحد.. لا أحد.. لا امرأة هناك.. أعود لنومي أو أصارع أرقي حتى أقهره أو يقهرني.

كانــوا يعرفون حلو حديثي وإجادتي لصنعة الكلام وحفظي للأشعار الرومانسية التي تمس قلوب البنات.. أعطوكِ رقم هاتفي لتتواصــلي معي بحيلة ذكية انطلت عليكِ.. كان دورا جديدا يقطع الوحدة التي تسكنني.. يجنبني العزلة لأندمج ككائن اجتماعي يأنس بالــناس ويأنســون به.يحطم لي الجدران والأسوار والأبواب التي أحاطوني بها أهل القرية.. يفتح لي قلوبهم ومنازلهم المغلقة.

كــنتِ أنــتِ مخطأة أيضا هل ظننتِ أن أهل القرية سيتركونكِ تضربين بعصاكِ الماء الراكد.. غبية؟ هل غضبتِ؟ لم أقصد إغضابكِ.

كــنت مشــدودا لــكِ كأنثي تتكلمين.. تضحكين.. تجيدين الإصــغاء.. كــنت أحــتاج أن أتواصل معك.. أتحدث معك عن أمالــي..أحلامــي.. إحباطاتي.العالم قبيح نجمله بالأكاذيب.. كلهم يكذبــون.. وجــوه النســاء وتصريحات الساسة.. وعود المحبين وإخــلاص الأزواج......... و..... و...... مــن منهم لا يكذب (فليرمنا بحجر).

وأنتِ سامحيني أشبعتِ غروري.. اخترتني دونا عن كل شباب القرية.. لم أكن أجملهم ولا أصغرهم لكنكِ تخيرتني دونهم فامتلأت غرورا بكِ حتى أدمنتك... أدمنت صوتك وحديثك.

من أول هاتف توصلت لمفاتيحك.. ما يضحكك.. ما يقلقك.. اهتماماتك أقصد تفاهاتك.في البداية.. كنت بسيطة- ككل بنات القرية- تنحصر اهتماماتكن في الزواج وأعمال المنزل والتلفاز وأخبار أهل القرية وأهل الفن.. كنت ضحلة تماما.. ذهنك فارغ تماما بعدها وجدتك مختلفة.. صوتك الحلو أعطاني الإحساس أنكِ أجمل نساء الكون.. في البداية كنتِ قليلة الكلام.. دوما صامتة.. خجولة..تزجرينني عن شطح الكلام.. رويدا رويدا تعودت الجرأة في عباراتي..تتراءى لي ابتسامتك عبر الهاتف وعلي لسانك تظهرين الخجل- كنت أشعر بكِ في اختلاجة صوتك - بعدها انطلقتِ في الكلام.

تخطئين يا حنان حين تتصورين أن أهل القرية سيتركونك تعبثين.. تنفخين في الرماد الساخن الساكن خلف الأبواب المغلقة علي ساكنيها فتشعلين النيران؟

أنت مدمنة قصص رومانسية.. تعرفين تماما كيف تخفينها في أواني الطهي وفرن الخبيز.. تقصينها عليّ بتفاصيل مذهلة ووعي.. لا تفوتك أي شاردة.. تقصين أيضا الأفلام الرومانسية.... كنت أجد متعة في الاستماع وأنتِ تجدين متعة في القص.. أنتِ حساسة ورائعة.. يحلو لي التعليق أحيانا في بعض المواقف ومداعبتك فاشعر بخجلك في صمتك.

صدقيني كنتِ مخطئة حين تصورتِ أن أهل القرية سيتركونك تعريهم أمام أنفسهم وأمام الناس؟

كل ما في البلدة مكرور وساذج.. ممل.. يبعث سأما يدعو

إلي الموت.. بلدة تشوه الجمال والمعتقدات وتعشق القبح. القمري الـــذي أحـــبه ويكون فألا حسنا لو هديله مس أذنينا مسا.. ننتظر زيارة قريب عزيز أو وصول خبر من غائب لو لبث فوق دورنا بعضــــا من نهار.. ما باله في قريتكم يعشش في لوحات الكهرباء يـــتخذها بـــيوتا يشـــعل فـــيها الشرر بأعشاشه المربوطة بأسلاك معدنـــية.. تضـــطرم النيران وتنصهر الأسلاك وأذوب في عرقي ذوبانا أياما حتى أتنبه وأحضر من يصلح الأسلاك. في قراكم حتي القمري يدعو إلي القبح.............!!!!!!!!!!!

عـــند مدخل المدينة المفضي لقراكم تمثال لفتاة وفتي – من الفن الحديث – يتبادلان قبلة.. هو قطعة حجر لا تعني لهم شيئا.

لـــو أدركـــوا معـــناه حقـــا لـــرجموا الفتي والفتاة التمثال بالحجارة...

أعلم تماما معني أن تحبني أنثي.. أن تمنحني مشاعرها البكر التـــي تمنحها لرجل لأول مرة. مشاعر عاشقة تغرق في حبي ليل نهـــار..لا أنسي اليوم الذي سقطت دموعك فيه أثناء محادثتي حين تذكـــرتِ أن أهلـــك لن يزوجوك لغريب مهما كان. بكيتِ بحرقة.. حيـــنها فَـــتحتِ قلبـــي علي اتساعه وأزحتِ من كن قبلك.. جلست وتربعت ومددتُ أقدامك.. كنت ضعيفة ورقيقة وهشة.. كنت أرغب فـــي احتضـــانك.. فـــي مسح دموعك بقبلاتي.. كنت أود لو أكون الـــرجل الخارق لأخترق الأسلاك والجدران لأصل إليكِ وأحتويك.. صدقيني نجحتِ في إدرار دموعي..كنت أبكي معك بصدق.

(مَن يَستَطيعُ تَفكيكَ النَّومِ / سِنَةً.. سِنَةً / إِغفَاءةً.. إِغفَاءة / حُلُمَـــاً.. حُلُماً / كَي أعرِفَ انتهَاكَ أسرَارِه؟ / مَن سَيأمنُ لي / ألاَ تُوقظني وَخزةُ شَعرةٍ لَها / مِنَ الحُلم؟)[٢٨]

أهل البلدة لم يعد أحد يشكو منك..كنتِ اكتفيت بي حقا عن

كل الشباب. كنت كل عالمك ودنياكِ.

لكــن....كــنت انــدمجت فـــي اللعبة تماما.. كان يستحيل الانســحاب و التــراجع.. قلــت لهــم إنكِ سافرتِ وتركتِ البلدة.. سامحيني.. كانوا يراقبونني دون أن أعلم.. ربما ساورهم الظن بي.

رميتني بنظرات احتقارك حينها.. لم يخرج منك لفظ جارح.. (بــنت ناس حقا) لو صفعتني أو بصقتِ لكان أرحم لي.. لن أحتفظ لك في ذاكرتي سوي بذكري طيبة.. حاولي أنت أيضا.. حاولي أن تغفري لي.

(أعِــدُهُ بِــوردَةٍ / إنْ أنَامَنِي../ يَعِذُنِي بِحَدِيقَةِ أشوَاكٍ / إنْ تَرَكَني وَحِيدَاً!).(٢٩)

والله أحــبك.. أحــبك.. دمــوع العالم لن تكفيني للتكفير عن ضياعك مني..سامحيني. حاولي..أعلم أنكِ لن تسامحيني ما حييت)).

لا أعلــم كــيف وصلت لي الرسالة.. حتما أرسلها مع إحدي البــنات أو أحــدهم ألقاها بنبلة.. كان ينتظر الرد.. أشعلت فيها النار وأطفأتهـــا قبل تمام احتراقها عله يقرأ بعض كلمات لم تمسسها النار يتبين خطه فيهتدي إليه.. أعدتها سيرتها الأولي وأسندت عليها حجر.

بجناحي الأيمن أقبض علي قلبي أعصره وأخرسه.. أضغط علـــي جــروحه وندبه المتخلفة من جروح الزمن وبجناحي الآخر أهش طائري الضخم ليغني بعيدا.. غناؤه الحلو حجب عني رؤية ذيلـــه الذي يهتز.. ليس عصفورا ضخما كما ظننت بل هو جروٌ ضــخمُ. يطير حيث يسكن شمالا مخلفا وراءه غناءً وكلمات حلوة تناثــرت في الهواء.. يخلف أيضا وراءه ذكري أليمة لأيام وشفاه وآذان ستظل طويلا تتناول سيرتي بالردئ من الكلام.

[٤٩]

أنا عصاية مكسورة لا أنفع أهش ولا أنش..
لا الدياية ولا حتى الغنم بتعملي حساب.

- عمتي.. أهلا.
- صحيح يا منصور الكلام اللي قاله الكبير؟
- ....
- بتخبي عينيك مني في الأرض ليه يا منصور.. يبقي كلامه صحيح.

(((آه يـا عمتي لا تحكمي علي بما يقوله الناس عني.. لا تسـتمعي إلي صوت غضبك حتى لا تسقط ريشة العدل من يدك ليحل محلها سوط فرعون)[٣٠])).

- هـو مذنب ليه سرقنا ((حرامي نتن))؟! ليه خدعنا و إدعي إن العروس نحاس.. رمي لنا الفتافيت وخد مئات الآلاف. هو دلهم علـيَّ.. منصـور بيحفـر الجـبل.. منصـور كـيت وكـيت..............اتعـذبت يا عمة وهو السبب.. انبهرت بالعرايس شديت واحدة أقلب فيها.. دهب.. دهب بجد.. اختفوا بقية العرايس في ثواني.

((هـي لحظـة.. ومضة.. غاب فيها حارس الكنز عن وعيه.. اختطفت من اختطفت والباقيتان اختفتا.. الحياة لحظة.. فرصة تأتي في لحظة إما أن ننتهزها أو نظل العمر نبكي عليها ولن تعود)).

قلت وحلفت ما صدقوش.. قلت إديتهم لعمي الحاج جابوه.. ماهو اللي جابني.

قال لي "أزمة قلبية.. كده يا منصور ولا تقعد معانا لما يبان لك أصحاب" قال زميله "ونقول لعمتك إنك إنت اللي وشيت بيه؟ هه حتقول جوز عمتك مات بأزمة ولا تبقي إنت في أزمة؟" ما قدرتش أقول لأ.

((لا كلمة صغيرة من حرفين خفيفين حين نجمعهما يثقلان.. حرفان فقط اللام والألف قلهما يا منصور. اللام لا تتردد و قل لا.. اللام لا تخش في الحق لوما.. الألف ألفة تنشأ بينك وبين ذاتك حين تملك القدرة علي نطق لا.. الألف اعترض واشهد العالم أنك معترض.

ماذا لو قلت لا؟ وهل كنت أملك قولها؟! خرس لساني وارتعشت أعضائي ودق قلبي بعنف.

لماذا سرقنا؟ لم يكفوا عني إلا بعدما كذبت.. تهتفين بي في يقظتي ومنامي

"إنت السبب أولادي بقوا أيتام" وهل كنت أعلم أنه سيموت.

(عند موت الأب تهتف الملائكة مات من كان يكرمك الناس من أجله وعند موت الأم تهتف ماتت من كان الإله يكرمك من أجلها)[٣١].

مازالت عمتي تعيش لو كانت ماتت هي لتزوج قبل أربعينها)).تقول أمي:

- ما صدقش.. الكبير كان صاحب المرحوم و الكل بيعملوا ليه ألف حساب.

- يا مي الصاحب صاحب مصلحته.

- واللي فكرهم يقولوا لعمتك دلوكتي.

- الكبيـــر كـــان عايزني أحفر الجبل.. رفضت.. فرش الخرايط قدامي. قال سبنا م العرايس مؤقتا يا منصور تحفر هنا.. كانت نفـــس المقبرة الملعونة اللي كسرت ضهر عمي.. قلت للكبير فلوس العالم ماتساويش رقدتي ع الفرشة مكسور عاجز غرقان في بولي..لا وألف لا. هددني إنه حيقول لعمتي قلت أماطله لما يزهق مني ويشوف غيري أو حاجة تتغير في البلد..الكبير ما يـــبقاش كبير ولا الصغير صغير..... أما زهق رجع للعرايس قالـــي لـــو خبيت العرايس في بطن الأرض أو في بطن أمك حنجيبهم ونجيبك.. فاهم يا منصور.

((الوقح ماله وأمي؟!!)) ماطلته قال لعمتي.

- وين بقية العرايس يا منصور؟

- ((كانوا ثلاثة يلمعن ببريق الذهب ويصدرن رنينا تحت فأسي))

اختفوا يا عمة إحنا حنعيد ونزيد..إنتِ كمان حتعمليلي تحقيق زيهم.

- احترم عمتك يا منصور.

- ســـيبيه يـــام منصـــور.لـــو كـــان لـــه كبير يترد عليه غيرش أخويا...................... ربنا يعفي عنه.

- يعني أرد كيف يا مي؟!

- حأقلك المفيد يا منصور. المرحوم شفته بيحفر ويخبي فلوس قبل مـــا يمـــوت.. كان فاكرني نايمة سهاني. إيه رأيك الفلوس دي ليك.. بشرط.. تشهد إن الحاج مات هناك ماماتش موتة ربنا.. تاري يا ولدي.. ناري.

((عمتي النسور مستلقية علي كتفيه بأمان.. لن أساعدك علي منعه من التحليق بنسوره.. أنتِ لا تعلمين.. لن نجني من ملاحقته

ولو بعض الريش.. لن يتركنا في أمان.. حتما سنخرج متهمين.. مهربي آثار خطرين مثلا أو.........)).

- بتشتريني يا عمة وتشتري شهادتي.

- لا ياولدي.. إنت بتقول ليك حق العروسة الأثرية.. المسخوطة الدهب.. حيرجعلك حقك بس إشهد.

-...

- منصـــور ميتـــي تعلمت الخوف؟! أبوك علمك تقول الحق وما تخافش.. إيه اللي حصل؟

- الزمن كان غير الزمن يا مي.

((تــركته يمــوت بدلا منك.. تركتني أرملة وأطفاله أيتام.. عيونك الحجرية مفتوحة علي اتساعهما لا تطرف خجلا مني.. لا تطــرف خجــلا مــن فعلــتك.. يا لقلبك الحجري يا ولد.. آه يا منصـــور.. حملــتك صغيرا كأمك.. أطعمتك وسقيتك.. حممتك.. قصصــت عليك حواديتي و نمت علي صدري.. لا تتذكر.. كنت كولد من أولادي وأنا لم أتزوج بعد.. تعلمت معك كيف أكون أما.. نسيت.. يا لقلبك الحجري يا ابن الغالي!!!!!)).

- منصور ريح عمتك.

- أريح عمتي وأروح أنا فيها.. يا مي أصل..................

- خايــف لابد عاملك عملة يا منصور. العرايس الدهب معاك.. صــح؟ ضحكت علي الناس كلها حتي علي أهلك وصدقناك.. الحـــاج راح بســببك.. بســبب كدبك.. وبيجي لك نوم يا بن اخوي.. عرفت تكدب علي عمتك وتحط عينك في عينها. جالك قلــب تحضر دفنة المرحوم وتتقبل فيه العزا مــ اللي قتلوه.. اتغيرت يا منصور. إخص!

- ....((نـــوم يا عمة وهل زوجك يتركني أنام.. يأتيني فـــي كـــل نـــومة.. في زيارته الأخيرة لتومي قال سيظل شبحي يطـــاردك أينما حللت يسألك لماذا قتلتني؟ أنا لم أقتلك يا عم الحاج هـــم..... (يقاطعني) سيحل في أرواح أولادي وإخوتك.. ستظللك شـــقوتك طول حياتك.. ستظل أسيري سجيني طريدي.. ستتمنى الموت ولن تجده.. لا أنت ميت ولست بكائن يعيش))

المرحوم محقوق الله يرحمه بقي.. هو اللي إبتدا بالخيانة يا عمة.

((يـــا عمـــة العالم ينضح أكاذيب.. افتحي التلفاز أو اقرئي جريدة.. انظري من نافذتك أو اخرجي خارج دارك..الناس أكاذيب بشـــفاه مبتســـمة.. الواقع ليس له طعم أو بطعم العلقم في حنكنا.. نرش عليه بعض السكر يا عمة.. الناس كذبة تسير علي قدمين)).

- نهايـــته حتشهد ولا لا يا بن اخوي.. المرحوم ما تجوزش عليه غير الرحمة دلوكتي.
- لا.. الفلوس مش عايزها اعتبريها عوض عن المرحوم.
- جري إيه يا منصور اتخبلت!! عمتك تقبل عوض عن المرحوم.
- قصـــدي خلـــي الفلـــوس للعيال. لسه صغار و محتاجين تقلهم فلوس.. لغاية ما يكبروا ويتعلموا.
- أنـــا لـــو متاكدة إنها فلوس عروستك يا منصور أردها ليك أنا ماكلش حق ولاد أخويا.. لو تقدر تثبت أردها ليك من عيني.. عموما راجع نفسك.. إن جالك قلب تسكت عن الحق وتنام الليل والمـــرحوم قلقـــان في تربته اسكت.. لو غيرت رأيك قولي. تحركت تجاه الباب.
- تباتي معانا ياختي حتمشي بالليل كده؟

- الدار في آخر الشارع. مضت وأغلقت الباب في صوت مسموع.
- حتي الشاي ما شربتوش عمتك.. كلامها صح يا منصور؟

[((كنت أحفر لتوسيع دورة المياه اصطدمت فأسي بالفراغ. قال بعدما أفزعني بضخامة حجمه وفظاعة شكله وعينيه المليئتين بالزمن- أظنني لن أنجب إطلاقا-:

- لم يفض النيل هذا العام ولا العام الماضي.. من عامين أيضا لم يحدث فيضان والعام السابق لهما والسابق له والعام الذي يسبقهم و العام السابق لهم جميعا.. هل تجيد الحساب؟ سأعيد............ قاطعته:
- مادخل الفيضان بنا؟
- شح الماء وماتت الزروع وغلت الأسعار.. احتجز الفرعون الثوم لطعامه وللحاشية.

((ثوم.. تخيلتك ستطلب لحسة زئبق أحمر ليعيد لك شبابك علي نفقتنا.. فقط مليون جنيه للجرام))

- وماذا ستصنع زوجتك بالثوم.. هل ستصنع به تقلية لملوخية بالأرانب؟
- زوجتي بعد ساعات من أكل الثوم نيئا في سلطة أو تقلية أو خلافه لا تري ما أمامها من هياج القولون.. سأهديها الثوم لتعمله لبخة مع زيت الزيتون لإزالة البثور من وجهها.. البثور تضايقها كلما نظرت في مرآتها وتضايقني كلما قبلتها.

((كنت اعرف أن الثوم سيزيد البثور التهابا وستخرب زوجته بيته)).جئته برأس ثوم من المطبخ.

- لدينا بصل أيضا ربما يفيد زوجتك في علاج أشياء.قال:

- سأسألها أولا.

فــتح أمامي الكنوز من خبيئات ومقابر حتى مدد الشوف.. أحجار محفورة بعناية.. كتل متشكلة تماثيل بكافة الأحجام ومن كل المعادن والصخور..أغلق الباب. قال:

- خذ ما تشاء. فقط أعطني المنزرع من أرضكم ثوما.

- لا نملــك سوي قيراطين لا نزرعهم برسيما فلا بهائم لدينا.. لا نزرعهم قمحا الخبز في الأفران جاهز والنسوة يؤثرن الراحة.. فقــط نزرع طماطم وكركديه وبعض الخضر ونخلات زرعهم جد جدي من أزمنة.

هل أحضر لك بلحا.. مطحون النوي يصلح لعمل لبخة تعيد الشــعر بــدلا من (الباروكة) التي تضعها علي رأسك الأصلع - كانت رأسه تلامس السقف العالي-؟

- هل تسخر مني؟ تأدب يا فتي.

-....................((كتمت ضحكي)).

- لــديك فرصـــة أخري.. الباب يحرسه ثعبان بسبعة رؤوس - نظرت شكله مريع وشديد الضخامة والدخان ينفر من منخاري كــل رأس.. كل فم مفتوح علي اتساعه وأسنانه مشرعة وحادة تنتظــر مــن تفترسه والذيل يتحرك في كل الاتجاهات- سبع كلمــات تقــولها في فم البئر.. كل كلمة صحيحة تسكن رأسا وتغفو..بالكلمات السبع مجتمعة يرقد الثعبان ويسكن ذيله تفتح الباب بأمان وتعب من الكنوز كما تشاء.. لديك سبع محاولات فقط لكل كلمة.

يا رب.. ما هي هذه الكلمات.. اسم الفرعون قطعا ضمنهم

لكن أي الفراعين؟ أمي.. طيبة.. منف.. أسوان.. الفنتين.. أبي.. مقبـرة.. معبد.. مسلة..هرم.. بردي.. لوتس.. بشنين.. ماعت.. إيـزيس.. أوزيـريس.. ست.. أبوفيس.. آبيس.. أتون.. أمون.. خـنوم.. أنوبـيس.. سـوبك.. حتحور.. حابي.. رع.. خونسو.. سخمت.......... هل تعد؟

عند الكلمة الخمسين.. أشار بيده..قال:

- انتهت محاولاتك.كلمتان صحيحتان فقط.

الآن لديك خمسة رؤوس فقط هل تحاول........ ((الرؤوس المسـتيقظة ترنو لي بغباء وغضب وتحفز. الدخان المتصاعد من الأنـوف العشر تحول إلي نار.. عشر شعلات تضئ من الأرض للسماء.. أنا هالك لا محالة)) قاطعته:

- لا.. لا. اختفـي الثعـبان يجرجر رأسين مستغرقين في النوم.. قال:

-. تصـدق إنني أحببتك لذلك لديك فرصة أخيرة.. ما هي أجمل هديـة يهديها رجل لامرأة؟ منذ زواجنا وزوجتي تسألني نفس السؤال وإجابتي دائما خاطئة.. كل كنوز مصر ستكون لك لو إجابتك صحيحة.

((شـمس كانـت تعشق الأزهار وتعشقني.. قالت – قبلما تبصـق وتـرد هديتي – عودتني أن تهديني زهورا يتنفس قلبي عطرها ويتنفسك.. أين أزهارك يا منصور؟ قلت ظننتك تغيرت يا شمس مثلما يتغير كل الناس.

النسـاء لا يمـلأ عيونهن إلا الذهب يرن في آذانهن.. أمي تـورد وجههـا واتسعت ابتسامتها من المشرق للمغرب في المرة الوحيدة التي أهداها أبي ذهبا كنت حينها صغيرا.. الورد أم الذهب

يا منصور أم شيئا خرافيا؟)).

- هـل زوجـتك تشـكو الملـل والسأم وتكرار الوجوه وشقاوة الأطفال.. ربما تشتاق إلي سفر بعيد.
- زوجتي كسولة لا تحب حتي الغوص لقاع البحر ودوما تتدلل.

((الغوص لقاع البحر آه هي جنية.. حتما تصل (بين طرفة عين وانتباهتها) السفر ليس متعتها)).

- حتما زوجتك تصغرك كثيرا.
- ليس كثيرا سبعمائة عام فقط.

((ربمـا الطعـام. قال إن زوجته رفيعة كأشجار السيسبان وليست سمينة.. قطعا لا تعشق الطعام لهذا الحد.

الـورد أم الـذهب يا منصور؟ أجب بسرعة علي الجني.. العـرائس الـذهب ينتظرنك فقط لو جوابك صحيح.. هل زوجة الجني تعشق الورد كشمس أم الذهب كأمي أم شئ خرافي؟))

- الـورد يا سيدنا الجني.. حتما أفضل هدية يهديها رجل لامرأة يعشقها هي الأزهار.. هل أهديتها ورودا من قبل؟
- لا.. سأسألها وأعود.
- لا تتأخر؟
- هـي في الأرضين السبع ذهبت لتتسوق.. هناك (مول) جديد تم افتتاحه.. لن أتأخر.
- لا تنس أن تأخذ معك وردا ستجد الكثير منه في المقابر.

كانت باقة ورد جميلة في يده قبل انتهاء جملتي.. قلت ضع بهـا زهرات عباد الشمس ستجد الكثير منها في الحقول.((شمس كانت تعشق أزهار عباد الشمس وتعشقني.

-هل لا زلتِ تعشقينني يا شمس؟

- القلوب هو مقلبها وحده سبحانه.

- أعلم يا شمس لكن هل لا زلتِ........؟

- يا منصور (مَن أحب وعف ومات دخل الجنة).

- ليتك تشعرين.. بعيدا عنك يا شمس أدخل الجنة كل يوم)).

هممت بالجلوس قفز أمامي.. انتفضت. قبل وجنتي وقال:

- لأول مرة منذ سنوات يكون جوابي صحيحا. قبلتني زوجتي قبلتين.. حملتني بذراعيها وأجلستني علي ساقيها لأول مرة.. بعدها......... لا هذه أمور عائلية ليس للغريب أن يطلع عليها.

تأملته مليا.. كان ضخما عريض الأكتاف آثار رعبي حين رأيته للوهلة الأولي.. ((تري ما شكل زوجته؟هل فعلت زوجته معه كل هذا........... وأنا أهم بوضع جسدي علي الكرسي؟!))

فُتح الجدار أمامي ببريق ذهبي أخاذ لمعت العرائس وأشعة الشمس تتسلل إليهن.. قال لم نر الشمس من آلاف السنين - غطي عينيه بكفيه - شمسكم جميلة ودافئة - أرحتني من رائحة إخراجكم التي أعمتني.. أطرقت برأسي خجلا.

((شمسي دافئة وحنون لكنها تتمنع كثيرا وتتدلل كثيرا.. تراها تأتي لحضني الذي ينتظرها دوما؟! قالت ليتك تمل أو تتزوج وتنساني كما نسيتك يا منصور.. تكذبين يا شمس لم تنسني ولا تستطعين ولو حاولتِ.. حبي يسكن قلبك.. يحتله أجمل احتلال.. احتلال دائم ليس منه مفر والآخر لم يستطع ملء عشر المساحة التي أحتلها أنا)). قال الجني:

- الكنوز أمامك لا تتردد. كن ثلاث أميرات أدركت نبلهن من أول وهلــة.. أمســكتهن فــي كفيَّ وأخذت أتفحصهن غير مصدق والجنــي يــتململ.. مددت يديَّ لأقبض كنوز أخري.. ضباب كثــيف من الأرض للسماء.. غشيتني غشاوة ونعاس خفيف.. اندفعت صخرة مزمجرة في دوي مسموع وسقطت علي مبعدة شبر مني.. اختفت كل الأشياء كما ظهرت.. الجني..الكنوز.. النيل.. المدن.المعابد.. الـ.........

أميراتــي الــثلاث الذهبــيات كن بجواري.. لمحت بارقة ابتسامة علي ثغورهن وأنا أنادي الجني:

- سأعطيك كل ثوم الجيران والأقارب والمعارف والذين لا نعــرفهم فقــط رد أيها الجني. ناديت.. ناديت ولا مجيب.. تزداد ابتسامتهن اتساعا.. لابد أن الذهب ذهب بعقلي!!!!))]

- مطاطــي راسك ليه يا ابن بطني؟ كدبت؟ كت زمان زي البت المستحية كت عمرك ما تكدب ولا تعمل الغلط.. كت ولد.

- ....((كــل العالم يكذب.. كلنا كاذبون بدرجات متفاوتة.. بنبــرات صــوت تختلف وقدرات علي الإقناع مختلفة.... الكذب أصــبح طعــام وشراب ولباس الناس منذ الخياط الذي حاك للملك الهــواء لباسا يرتديه وسار الملك في موكبه بردائه الداخلي الذي بالكاد يخفي عورته والناس تصفق وتثني علي عبقرية الحائك))

الزمن بيتغير يا مه والعرايس متشالة لوقت عوزة نجوز بيهم البت أم تلفون ونعلم البقية وأتجوز أنا بس تتحسن الظروف.

- إنــتو ســمتوني منصــور ليه يامي؟! ((يام كل هذه الهزائم و سميتموني منصور!)).

- وده وقــته؟! جــيت البكري ولد.. نصرة ليّ قصاد ستك أم أبوك

وعماتـــك.. قلت إنت اللي حتتصرني وتنصر إخواتك علي الناس وغدر الأيام...... ما تلفش وتدور معاي...... حتبيع آثارات تاني يا منصور؟

- يا مي فيه كتير باعوا البلد نفسها.. بناسها.

- يا بوي حترجع تاني يا منصور تبيع الآثارات وتتسجن وتموت في السجن زي الحاج.. يا حسرتك يا أم منصور.. يا مصيبتك في ابنك البكري.. يا مصيبتك في بناتك ومصيبتك في جوزك.. يـــا رب خدني عندك.. تجلس علي الأرض تنهنه وتلطم خديها ورأسها حتى ينقطع صراخها وبكاؤها.

- يا مي بدل ما تفرحي.. يا مي مالك ردي عليَّ.. يامي كلميني.. يا م.... طب أنا حأرجع تاني أحفر الجبل.. حأفحت(*) المقبرة الملعونة لغاية ما تبان. يا رب الجبل يقع عليَّ وأموت ترتاحوا مني وأرتاح منكم يا رب.. ولا أقولك أنا حأولع في نفسي.

أجري علي صفيحة الكيروسين.. أملأ الكوز وأرفعه.. أفاجأ بأخوتي حولي.. تختطف الكوز طاهرة.. بضع قطرات تسقط علي ملابســـها كــذلك صفاء. تنتش صفاء علبة الثقاب وتجري تخبئها بعـــيدا.. حتـــي الصـــغار استيقظوا وتراصوا حولي.. تقوم أمي بصعوبة.. تربت علي ظهري:

- لا يا ولدي إنت سندي..عصايتي اللي بأتعكز عليها وأهش بيها علي إخواتك أحرسهم م الديابة وأرجع بيها اللي تبعد ولا تتوه. لآ يا ولدي لا.

- يامي أنا عصاية مكسورة لا أنفع أهش ولا أنش.. لا الديابة ولا

---

*- أفحت: أحفر.

حتى الغنم بتعملي حساب.

تحتضـــنني.. أستلقي في أحضانها. أمسح في صدرها حزني ودموعي.. دموعها تبلل شعري.. تمد ذراعيها عن آخرهما تحتضن إخوتي الصغار. سنة من النوم تأخذني بعيدا.. بعيدا.. بعيدا.

أفيق علي صرخة بل اثنتين.. النار اشتعلت بملابس صفاء.. تـــندفع طاهـــرة نحوها تحتضنها لتطفئها يشتعلان.. بسرعة أندفع نحـــوهما انـــتش الكلـــيم الصوف من فوق الدكة.. أرفعه تتسمر يـــداي.((لو تقتل قلبك يا منصور.. لماذا لا تدعهما يحترقان؟! ألم تـــدع ربك أن يحترقا دونك؟! هل أشعلت النار في نفسها عمدا أم نســـيت قطـــرات الكيروسين المنسكبة علي ملابسها فاشتبكت فيها النار؟ والثانية هل أرادت مشاركتها نفس المصير؟)) ألفه حولهما.. أخمد حريقهما.. ننكفئ ثلاثتنا علي الأرض.

أجلـــس أشدهما لحضني بقوة ((لا أعلم أنني أحبكما كل هذا الحـــب.. أموت والله لو فقدتكما)) تمتزج دموعنا وقبلاتنا برائحة الكيروسين والملابس المحترقة والسواد المظلل وجهيهما.

تســـجد أمـــي تبكي وتضحك.. تضحك وتبكي.. ترفع يديها للسماء "يا رب لا تفجعني فيهم.. كلهم.. كلهم أولاد بطني"

الختام

(((لقــد كان صدعا في السد.. تدفق منه الماء.. وقد انفتح فمــي للكــلام.. وأعملت مجدافي لسبر الغور.. ونزحت مائي.. وروحت عما في جوفي.. وغسلت كتاني القذر.

والآن قــد انتهــي خطابــي[أنا منصور ابن أمي وأبوي] وانتهي بؤسي في حضرتكم))).[٣٢]

الهوامش (بعضها بتصرف)

الرقم	مأثورة لـ
١	(الشاعر / أمل دنقل)
٢- ١٤	(الشاعر / محمود عباس – أسوان)
٣	(أمير المؤمنين / عمر بن الخطاب)
٤	(الشاعر / محمد عفيفي مطر)
٥- ٢٤	(الشاعر/ بركات معبد – قنا)
٦,٧,٩,١٠,١٢,٣٠,٣١,٣٢	(من الأدب المصري القديم)
٨	(الشاعر/ فاروق جويدة)
١١	(الشاعر/ نزار قباني)
١٣-٢١-٢٥	(الأديبة / أنيسة عبود)
١٥-٢٦	(الشاعر/ صلاح والي)
١٦-٢٣	(الكاتب / إبراهيم الكوني)
١٧-٢٠	(الأديب / أحمد الشهاوي)
١٨	(الشاعر/ بشار بن برد)
١٩	(الشاعر/ أحمد شوقي)
٢٢	(الشاعر/ حسن طلب)
٢٧-٢٨-٢٩	(الشاعر/ محمد حلمي الريشة)

الكاتبة في سطور

- د. هيام عبد الهادي صالح
- اسم الشهرة / هيام عبد الهادي – هيام صالح.
- قاصة وروائية
- **طبيبة بيطرية.**

مديرة وحدة بيطرية بإحدى قري أسوان.

- **المؤهل** / حاصلة علي بكالوريوس طب بيطري – جامعة أسيوط

دبلوما في أمراض حيوانات المزرعة – جامعة جنوب الوادي.

من بنات أسوان – مصر وتقيم بها.

*** صدر لها /**

١- عيناه ترحل بعيدا للقمر.. قصص – الناشر: المؤلف، ١٩٩٩م.

٢- وللجبل أغانِ أخري.. متتالية – سلسلة أصوات معاصرة، ٢٠٠١م.

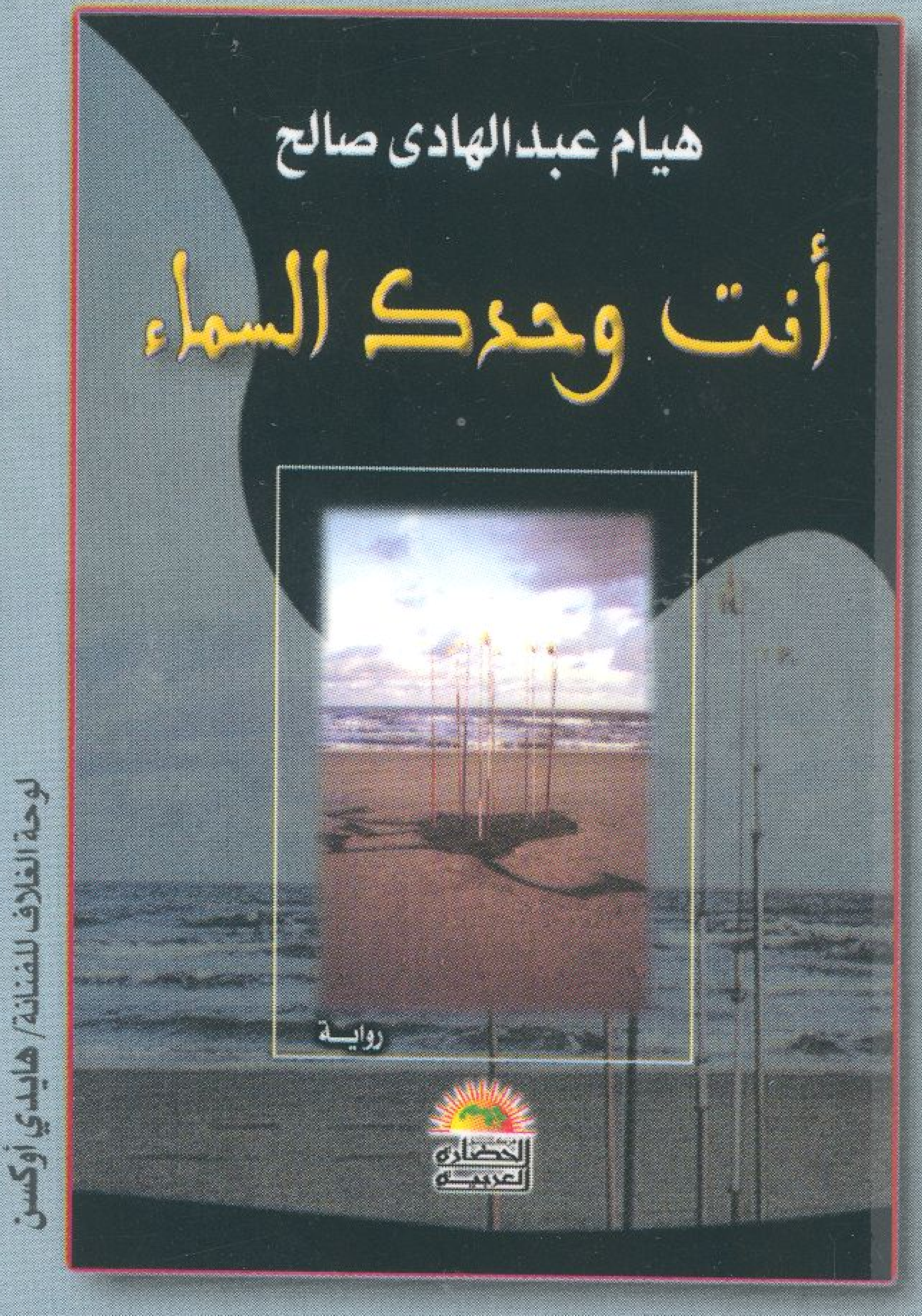
٣- زهر الحناء.. رواية – سلسلة إبداع الحرية، ٢٠٠٤م.

*** بالإضافة إلي:**

- عزف منفرد (مجموعة مشتركة) عن نادي أدب أسوان ١٩٩٩م
- نشر لها في كافة الجرائد والمجلات الأدبية المتخصصة وكثير من مواقع الإنترنت.
- و تناول بعض من النقاد أعمالها بالنقد في بعض المجلات والكتب.

المراسلات

عنوان إلكتروني: vet_hayam@ hotmail.com



لوحة الغلاف للفنانة/ هايدي أوكسن



«كانت جثة لامرأة طافية في النيل - كانت في ذاكرتي دائما وإن كنت لم أتعرف عليها - وجهها منتفخ وبطنها منتفخة وخصلات شعرها متآكلة تعلق بنبات ورد النيل . طرحتها تتماوج مع حركة الموج يدفعها ويروح يصفعها ويعاود صفعها مرات ومرات . جلبابها الأ المبلل يكشف عن ردائها الداخلي بلونيه الأحمر والأ وطائر ضخم يقبع علي الصدر.. البلل كشف عن تفا الجسد المنتفخ الذي انتهكت حرمته وبانت تفاصـ

